روايات عبير الجديدة

ديانا بالمر

واشتعل الحب

www.elromancia.com

مرمورية

١١٥

www.elmenciya.com

واشتعل الحب

ديانا بالمر

فور تعرفها على هاميلتون تورندون، احست سابرينا كان بكره كبير نحوه. لكنها ورغم ظروف لقائهما، ادركت انها تحب هذا الرجل الفظ المتعجرف.

الم يذلها باحتقار شديد امام ضيوفه؟ الم يكشف سرها الذي حافظت عليه سنوات طويلة؟ ايمكنها مسامحته؟.

- ١ -

نظرت سابرينا الى المصابيح تنطفىء الواحد تلو الآخر، وكانت دائماً تشعر بالحزن كلما انتهى العرض. هنا في سافانه احرزت نجاحاً هي وفرقتها. وبعد ان قبض كل منهم حصته، لم يبق هناك شيء مهم.

ضحكت سابرينا وحدها، وحاولت ان تطرد الافكار السوداء وخوفها من الغد المجهول. على كل حال، هي تفعل ما تحبه اكثر من اي شيء آخر. الغناء هو حب حياتها. وهي سعيدة بمهنتها هذه. بعد عودتها من نيو اورلينز! حيث اقامت مع فرقتها حبوب الرمل. عرضا في اكبر ملاهي المدينة وحيث حصلوا على دعاية جيدة.

ابتسمت لبقية اعضاء الفرقة الذين كانوا يجمعون اوراقهم. فغداً ينتظرهم مهرجان كبير في نيو اورلينز.

وكان يقف بعيداً عنها البرت تورندون يشرثر مع دنيس هارت مدير سابرينا، ويتأملان الفتاة التي تنزل عن الحلبة برشاقة، وكانت ترتدي بلوزة من الساتان اللماع الاحمر، وشورت ضيق يظهر رشاقة خصرها وفخذيها تحت الكولون الاسود اللماع. باختصار كانت صورة حية لمغنية الروك صاحبة الصوت المثير، والشعر البني الطويل المسترسل على كتفيها، وكانت مقلتيها الرمادية تبدو فضية تحت النور الخفيف، ورموشها الطويلة تزيد من سحرها وجمالها.

اشارت نحو الرجلين بيدها، ثم سلمت على البرت بشكل خاص، وهو احد اصدقائها المقربين. كانت قد تعرفت عليه عن طريق جيسيكا صديقتها من ايام الطفولة.

وجيس تعمل الآن كسكرتيرة في شركة تورندون، وهي تحب آل سراً وبدون امل، وكما وعدتها سابرينا لم تكشف سرها ابداً.

في بداية معرفتهما، كان آل يشعر بانجذاب نحو سابرينا، لكنها لم تشجعه، لم تكن تنتظر شيئاً، ولا تريد من الرجال شيئاً، لا عواطف حب ولا متعة جسدية، لم يفهم آل اولاً سبب رفضها الغير مبرر، لكنه قبل بالبقاء كصديقين.

انه هو نفسه الذي حصل على العقد في النيو اورلينز. ولقد سافر بالطائرة ليزف الخبر بنفسه الى سابرينا، فشركة التورندون تملك عدداً من الاعمال المختلفة ومنحها النايت كلوب في نيو اورلينز.

ولكنه يبقى الاخ الاصغر للمدير الكبير، هل سيوافق

اخوه الكبير على ان يهتم آخر سلاسلة عائلة تورندون بفرقة روك مجهولة؟.

وكانت سابرينا لا تستلطف هاميلتون ريغن تورندون، الثلاثي الاسم! مع انه كان وسيماً ولا يمكن احصاء مغامراته العابرة. انه يمثل كل ما كانت تكرهه سابرينا: السلطة المال، الاغراء السهل، وهي ممتنة جداً لالبرت لانه لم يدخلها في دائرة عائلته، تلك العائلة المفككة: اخوان وامهما التي تقضي كل وقتها في اوروبا. البرت يتكلم قليلاً عن والديه. وهذا التحفظ يشبه السر الغامض. ولم يسبق له ان دعاها لا هي ولا جيسيكا الى تلك الحفلات التي كان يقيمها آل تورندون في مزرعتهم في تكسان.

في البداية كانت سابرينا تخشى ان يكون البرت علم شيئاً عن ماضيها. ثم تبددت شكوكها عندما ادركت ان جيسيكا ايضاً لم تدع لحضور اي من هذه الاحتفالات مع انها تعمل كزميلة لالبرت منذ عامين.

كانت جيسيكا الوحيدة التي تعرف طفولة سابرينا، وكانت كتومة جداً.

انهى البرت حديثه مع دنيس، وانضم الى سابيرينا ومقلتيه الخضراء تشعان بالفرح.

«انت رائعة، اين وجدت هذه الملابس المثيرة والانيقة بنفس الوقت؟».

«لقد صنعتها بنفسي». اجابته ضاحكة «انا احب فن الخياطة».

«انت جنية منزل حقيقية».

«احب ان اهتم بنفسي وبمنزلي».

«اتسمين منزلاً، تلك الشقة الصغيرة؟». سألها بجدية.

«انه منزلي».

«بامكانك ايجاد منزل افضل منه بكثير، لو انك لا تنفقين كل ما تحصلين عليه على جيرانك المحتاجين. انت لا تملكين المال الكافي لشراء الضروريات لنفسك!».

«اصدقائي بحاجة له اكثر مني. اذا كنت تجهل معنى الفقر والبؤس، البرت، بامكاني ان اعرفك عليه».

«اعلم... اعلم، ولكن يجب ان تحتفظي لنفسك ببعض المال».

«لدي ما يكفيني».

«حسناً، كل نقاشاتنا حول هذا الموضوع تنتهي بهذا الشكل، انا غبي لانني الح عليك كثيراً. هل ستأتين الى سهرتي غداً؟».

«اية سهرة؟».

«في منزلي. سيكون هناك الكثيرون، ومن بينهم تورن».

«هاميلتون ريغن تورندون، الثلاثي الاسم؟». سألته ببعض الاحتقار.

«لا تدعيه هكذا ابداً. هذا يغضبه كثيراً. انا ادعوه تورن منذ طفولتنا».

«هذا سخيف بالنسبة لرجل اعمال كبير وشايب مثله».

«انه في الثلاثين فقط من عمره. لماذا تصبحين عصبية

كلما حدثتك عنه؟».

«انه دونجوان...».

«انه يملك المال، وعاذب. والكثير من النساء يقعن فريسة لهذا النوع».

المال... العشاق... كلمتان حزينتان في ماضي سابرينا، كم تكره اولئك الذين يستعملون مالهم لاغراء النساء اليائسات. ولا يمكنها ان تمنع نفسها من اتهام والدتها، وادارت وجهها لاخفاء اشمئزازها.

«غريب ان يكون لا يزال عازباً».

«لا يمكن لاحد ان يعيش مع تورن!» اجابها البرت بشيء من المرارة.

«وهكذا انتقلت والدتي للعيش في اوروبا، واستقليت انا بشقة خاصة في المدينة».

«ولكن بما انه يحب النساء...؟».

«انه يستغلهن فقط، من اجل متعته، ولكنه لا يسمح لاحد ان يقترب منه. لقد خانته امرأة في الماضي، فأصبح وحيداً كالذئب، ومع انه يظهر رغبة في النساء، الا انه لا يحترم جنس النساء كله».

«هذا ما يزيد نفوري منه اكثر فأكثر».

«انتبهي؟ انه يكره الفتيات المهاجمات العدوانيات».

«هذا الرجل ينتظر امرأة قادرة على مجابهته». فكرت سابرينا سراً. لكنها لن تخوض هذه التجربة لان قصتها الشخصية تمنعها، هذا مؤسف حقاً كان بالامكان ان يسليها كثيراً هذا التحدي... الا انها لا تتأثر نحو جنس الرجال.

وبالرغم من صورتها كمغنية ووك مثيرة وجذابة، الا ان خبرتها في مجال الحب لا تتعدى قبلتين او ثلاثة قبلات. ولم تكن ترغب بمعرفة المزيد. وقلبها لم يخفق حتى الآن لاي رجل. لن تسمح لرجل بأن يمتلكها، وبدأت تشعر بالتعب، كانت هذه سهرة طويلة.

«انا بحاجة لبضعة ساعات من النوم، شكراً لك، البرت، لانك قطعت كل هذه المسافة لتزف الي النبأ».

«بل انا سعيد جداً. فالمغنية التي تعمل في الملهى تعرضت لحادث سيارة، ولن تستطيع العمل قبل اسابيع. والمدير سعيد ايضاً لانك وافقت انت وفرقتك على العمل هناك».

«تعاسة البعض...».

«الى اللقاء غداً» قال البرت بتردد «انا...».

«الديك مشكلة؟ ما هي؟».

«لا يمكنني ان اخفي شيئاً عنك سأشرح لك كل شيء غداً، انا بحاجة لمساعدتك، الامر يتعلق بمركز مساعدة الاطفال المحتاجين».

«سأفعل كل ما تطلبه مني. من سيلعب دور سيدة المنزل غداً؟».

«جيسيكا». اجابها بشيء من الحزن.

«انت لم توجه اليها اية دعوة من قبل».

«لم يكن تورن ليوافق اذا علم بأنني مهتم بها. لقد قلت له بأنني ليس لدي احد يقوم بدور المضيفة... اوه! يجب ان اذهب الآن سأمر لاصطحابك غداً في الساعة السادسة،

موافقة؟».

«عظيم». وافقت مع ان فكرة هذه السهرة تخيفها.

ثم تبعته بنظراتها وهو يبتعد، اهو مهتم حقاً بجيسيكا؟ سيكون ذلك رائعاً حقاً. انهما افضل اصدقائها. وابتسمت.

كان النهار قد اوشك على نهايته عندما عادت سابرينا الى منزلها. وكان الحي الذي تقيم فيه مؤلف من بنايات قديمة، وهي تسكن في احداها منذ ان غادرت دار الايتام. وكل جيرانها اناس فقراء لكنهم طيبون جداً، كانت سابرينا تحب الاطفال الذين يلعبون على الرصيف. وهذا الحي لم يكن بعيداً عن المرفأ. وكانت سابرينا تحب شقتها الصغيرة التي في الطابق الرابع مع انها صغيرة وبسيطة ويمكنها دفع ايجارها الشهري.

عند اسفل السلم، التقت بالسيد رافرتي، وهو رجل في الستين من عمره ولا يملك سوى ملابسه التي يرتديها.

«اوه! ها قد عدت، آنسة كان». قال لها بصوته المرتجف.

«ايه، نعم. ولدي هدية لك». ثم اخرجت من حقيبة يدها لوح من الشوكولا اشترته في طريق عودتها.

«ولكن انتبه الى اسنانك!».

«شكراً لك، يا ابنتي، انت طيبة جداً. كل يوم تحضرين لي شيئاً، وانا...» وتلألأت مقلتيه بالدموع.

«لا املك شيئاً اقدمه لك»..

«تكفيني صداقتك، انها ثمينة جداً بالنسبة للاشياء

www.elromancia.com

المادية، فأنا املك ما يكفيني».

«هـذا ليس صحيحاً، انت تهبين كـل شيء لـلآخـرين. كيف ستدفئين نفسك في موسم الشتاء القادم».

سأشعل اثاث منزلي». اجابته ضاحكة.

اخترقت ابتسامة الرجـل العجوز قلب الفتـاة. كانت هي الـوحيدة التي تحبـه رغم مظهـره المـفزع، ووحدتـه وعـزة نفسه التي تجعله فظاً.

- ٢ -

وفي الطابق الرابع، التقت ببيلي وبيسي التوأمين الـذين يسكنان بنفس الطابق. فقبلتهما ووزعـت عليهما الشوكولا.

«لا تـأكلانهـا الآن، والا لن تتناولا عشـاءكما، وعنـدئـذ ستأتي والدتكما وتـلومني!».

«اوه، شكراً سابرينا!». قال لها الصغيـران وهما ينـظران الى الشوكولا بنهم.

«انـا بحاجـة للراحة. سـأراكما فيمـا بعد». قـالت لهما عندما احست بأنهما ينويان متابعة الحديث معها».

«انت متأكدة؟» الح بيلي وهو يشجع اخته الصغيـرة على مشاركته رأيه. كانا يبلغان العاشرة من عمـرهما. ويفتخـران دائماً على اصدقائهما لان مغنية جميلة تسكن بجوارهما.

«نعم، نعم، هيا، لا تكثرا من الضجيج، موافقين؟».

www.elromancia.com

«طبعاً، انت تعرفيننا جيداً» صرخت بيسي بصوت مرتفع، سنسهر على راحتك، لا تقلقي».

كانت سابرينا تشك بكلامهما وبالنتيجة، وبعد ان قبلتهما، دخلت الى شقتها. وهذان الطفلان يعيشان مع والدتهما الحنونة، لكنها مدمنة على الكحول، مما كان يضطر سابرينا في كثير من الاحيان لاحتضان الطفلين. وكانت المساعدات الاجتماعيات يترددن كثيراً على شقة ماتيلدا والدتهما.

لكن ماذا يمكنهن ان يقدمن لهذه الامرأة الفقيرة البائسة؟ كثيراً ما كانت ماتيلدا تبكي وتعد بأنها لن تعود الى الشرب.

ولكن لا يمضي يوم او يومان حتى تعود من جديد..

سابرينا تعرف البؤس هي ايضاً. كانت تعاني من الجوع والبرد الى ان توفيت والدتها. وظروف فراقها المفاجيء والمرعب لوالدتها التي كانت سندها الوحيد في هذا العالم، تركها فريسة لكره وللحقد على كل الرجال وخاصة الاثرياء منهم.

كان لديها مهنتها كسلاح تعيش وتحمي نفسها به. وكانت تندم على شيء واحد، هو انها لم تستطع انقاذ والدتها.

تمددت الفتاة على سريرها، واغمضت مقلتيها متعبة منهوكة القوى، انها تكرس كل وقتها لمهنتها. واحياناً كثيرة تشعر بأنها لا تعيش الا امام الجمهور، وتشعر بأن قلوبهم تدق على انغام دقات قلبها، عندما يسمعون صوتها الصادر

من اعماق كيانها. في تلك اللحظات تكون تعيش وتنبض بالحياة.

لكن هذه الحياة الليلية كانت تنهكها. يجب ان تستمر ولا تتخاذل، ليس الآن، سيأتي يوم وتسجل مع فرقتها اسطوانات تكون بداية لمهنة لا معه.

ابتسمت واستسلمت للنوم، نامت بضعة دقائق فقط... واستيقظت على طرقات الباب، فنهضت رغماً عنها وفتحت.

«اوه! اهلاً البرت، اعذرني كنت نائمة كم الساعة الآن؟».

«انها الساعة السادسة، هيا بدلي ملابسك، فسوزي قضت كل النهار تعد لنا العشاء اللذيذ».

«يا لك من قاسي القلب، ستقضي على طاهيتك المسكينة بهذا الشكل».

«انها سعيدة بذلك».

«اجلس قليلاً، سأكون جاهزة بعد دقائق قليلة».

بعد ان اخذت دوشاً سريعاً، ارتدت ثوباً من الستان الازرق اللماع العاري الكتفين، والذي يظهر اعلى صدرها وظهرها، ويصل الى اعلى ركبتيها. ثم زينت وجهها وتأملت نفسها في المرآة بعد ان وضعت شالاً على كتفيها. لقد بدأت ليالي الخريف تصبح باردة، وتركت شعرها مسترسلاً على كتفيها.

«انت رائعة». قال لها البرت باعجاب.

«ما بك، البرت، ما مشكلتك؟».

«انت تذكرين. . . لقد شرحت لك انني ينقصني المال لتأسيس مركز الاطفال البائسين».

«نعم».

«لدي مشكلتان».

«بالاضافة لدعمي، سأقيم لك كونسير تعود كل ارباحه اليك مع انني وفرقتي لسنا معروفين جيداً».

«اسمعي، انا بحاجة لاعلان تليفزيوني يجذب الينا المتبرعين، وينقصني دعم كبير، بامكان تورن وحده ان يؤمنه لي».

«وهل هو على علم بذلك؟».

«لا، يجب اقناعه اولاً، و. . .».

«انتظر! لا يمكنك الاعتماد علي انا في اقناعه!!».

«كل ما اطلبه منك ان تكوني لطيفة معهة. ان تتكوني نفسك. . .».

«اتعدني انه لن يكون هناك مشاكل؟».

«اعدك بذلك، ثقي بي».

«انا لا اثق باحد، ولا حتى بك انت». اجابته ممازحة.

«هيا بنا الآن».

وبينما هما ينزلان السلم، طرحت عليه السؤال الذي يقلقها.

«لماذا انت بحاجة لوسيط؟ لماذا لا تتكلم الى اخيك بشكل مباشر؟ فانتما تربطكما صلة الدم. . .».

«تورن لديه مفهوم عن العائلة مختلف عن مفهومي».

«ومعنى ذلك؟».

«مساء امس، قدم لي تورن زوجتي للمستقبل» اجابها بحزن ودس يديه في جيوبه.

«هو. . . عفواً».

«اوه! انها فتاة جميلة جداً! ومن وسط غني. والدها يملك مصفاة للبترول! وتورن مستعد لحل كل مشاكلي المادية ومساعدتي في اعمالي الخيرية، اذا وافقت واسعدته بقبولي هذا الزواج. . .».

«هذا فظيع، بأي حق يسمح لنفسه بأن يوجه حياتك؟ الست شريكه؟».

«على الاوراق فقط. انا لن المس فلساً واحداً قبل السنة المقبلة، هذا حسب وصية والدي».

«يا الهي، الفكرة التي كونتها عن هاميلتون ريغن تورندون، الثلاثي الاسم لن تتحسن ابداً! يريد ارغامك على الزواج من فتاة لم تختارها انت! الا تهمه حياتك الخاصة ومشاعرك».

«ابداً، وخاصة عندما يتعلق الامر بالمصالح المادية».

فتح لها البرت باب السيارة، وجلس خلف المقود.

«هذا تصرف لا انساني».

«الم تتساءلي ابداً لماذا ابعدك انت وجيسيكا صديقتي الوحيدتين عن عائلتي؟».

«لقد بدأت افهم. . . اعتقد اننا غير لائقتين بنظر اخيك».

«هو لا ينوي الزواج، ولكن. . . شركة التورندون شركة كبيرة. ويريد ان يمنحها وريث او وريثين. . . ويجب برأيه

www.elromancia.com

ان تكون الوالدة مناسبة، انت تفهمين. جيسيكا متزوجة من قبل، وهي من اصل اجتماعي وضيع. ولن يقبل بها تورن ابداً...».

الآن اصبح كل شيء واضح. واخيراً فهمت تحفظات البرت العاطفية بالنسبة لجيسيكا.

«اوه، البرت، هذا فظيع جداً».

«في العام القادم، عندما امتلك ميراثي. سأصبح قادراً على الوقوف في وجهه. وبانتظار ذلك، سأكون متعقلاً».

«ان اخاك من نوع الرجال الذين اتمنى صفعهم بكل سرور».

«لا اشك بذلك. فأنت تشبيهنه. نفس القوة الاندفاعية ولكن، ارجوك، كوني مهذبة معه هذا المساء، انا بحاجة لمساعدتك».

«انا لم اعلن موافقتي حتى الآن».

«انا لن اجعلك تحت قبضته انه ليس عطوفاً مع البريئين اتمنى فقط ان تساعديني في اقناعه بمد لي يد المساعدة، سيكون هناك عازف على البيانو، وانت ستغنين(مدام بوترفلي)».

«ايحب شقيقك الاوبرا؟».

«انه يعبدها».

«ومغنيات الروك؟» سألته بتردد.

«حسناً! اعني...».

«ماذا؟».

«لا اعرف رأيه تماماً ولكن لا تقلقي، سيسير كل شيء

على ما يرام» كانت تشك بكلامه، لكنها لم تقل له شيئاً.

كان منزل البرت الذي كان قديماً لجدته يطل على خليج نيو اورلينز. ويمثل بأثاثه الفاخر، وحدائقه المزهرة وهندسته القديمة، تراث الجنوب العريق.

في الصالون الكبير، رتبت سابرينا زينة صديقتها وسرحت لها شعرها. وكانت جيسيكا صديقتها من ايام الطفولة. وكانت تعيش قرب الملجأ حيث نشأت سابرينا.

وربطت صداقة متينة بين الفتاتين. كانت سابرينا تبدو متوترة. واحمرار وجهها اكبر دليل على ذلك.

«سابرينا». قالت جيسيكا.

«هناك مشكلة» ثم التفتت نحو البرت.

«لقد دعوت بيك هنتون».

«نعم، وماذا في ذلك؟» سألها البرت.

«انه وتورن يتنافسان على مصفاة هوستون، انسيت ذلك؟ ما ان دخل تورن حتى خرجا معاً من جديد».

«اوه! لا!» صرخ البرت وهو يضرب بيده على جبينه.

«تورن عصبي جداً هذه الايام، وانت تفهم ما اعنيه».

«يا لي من غبي». صرخ البرت.

«وانا كنت انوي ان اعتمد عليه حسناً. لن ينفع اللوم الآن، سأفعل جهدي لكي انقذ بيك من بين مخالب اخي» وابتعد عنهما.

«سأنادي على سائق بيك، ستحتاج اليه هنا». قالت جيسيكا.

«قبل ذلك، اين يمكنني ان اجد السودا. ارى انه لا

يوجد سوى الكحول في البار».

«لقد تركت الزجاجة في المطبخ. سأراك بعد قليل».

اتجهت سابرينا الى المطبخ. وكانت تشعر بالظمأ. فملأت كأسها بالثلج، وتناولت زجاجة السودا، وفجأة فتح الباب الذي يؤدي للخارج بقوة.

فتسمرت مكانها وشعرت بالخوف وبالذهول عندما رأت الرجل الوسيم الذي دخل لتوه.

كان طويلاً، اسود الشعر، مقلتيه زرقاء، ورموشه طويلة، واحدى عينيه محاطة بهالة زرقاء متورمة.

«اسكبي لي كأساً». قال الرجل ووضع يده على الكأس الذي تمسكه سابرينا.

فملأت الكأس بالسودا وناولته له. ولم تستطع ان ترفع نظرها عنه.

- ٣ -

بأنفه الصغير وخديه الناعمين وفمه الرقيق، وسيجارته المشتعلة، يمثل نموذجاً عن الرجولة التي تحرك مشاعر كل النساء. اما بدلته السموكن السوداء فكانت انيقة جداً.

«ماذا اصابك؟ الم يسبق لك ان رأيت عيناً متورمة؟» سألها الرجل المجهول بحدة.

لابد انه بيك هنتون، من المؤكد انه تبادل مع تورن بعض اللكمات.

«ماذا تفعلين هنا في هذا المطبخ؟».

«جئت لاسكب كأساً، قالت لي جيسيكا ان السودا هنا، فأنا لا اشرب الكحول».

«هل انت صديقة لسكرتيرة البرت؟».

«منذ ايام الطفولة».

www.elromancia.com

تناول منشفة رطبة وضغط بها على عينه.

«جيسيكا تقوم جيداً بدور المضيفة». قال الرجل بسخرية.

«يبدو ان خصمك اهتم بك جيداً».

«هذا ليس بالشيء المهم، كان يجب ان تريه هو!».

«مسكين هاميلتون ريغن تورندون، الثلاثي الاسم! اتمنى ان لا تكون قضيت عليه».

«مسكين...» ردد الرجل وقد عقد حاجبيه.

«علمت من البرت انكما تتنافسان من اجل مصفاة، لماذا اثقت فظ في وسطك كرجل اعمال؟».

«انت وقحة، يا آنسة». اجابها بضحكة ساخرة.

«لابد انك بيك هتون، لا يمكن ان تكون شقيق البرت... لانه عندما تحمل اسماً طويلاً...».

«آه؟ اية فكرة تكونين عنه؟» سألها مبتسماً.

«لابد انه رجل نذل خسيس».

«يا الهي! لم اكن اعتقد ان البرت يكذب!».

«اوه، انه لم يصف اخاه، على كل حال، انا آسفة لانك اضطررته الى الرحيل. كان لدي شيء اطلبه منه».

«ما هو اذاً؟» سألها باهتمام.

«حسناً، انه يملك شركة نفط و...».

ضحكة الرجل الساخرة جعلتها تشعر بالخوف فجأة.

«وانا ايضاً املك واحدة. ارمي لي كرتك».

واقترب منها حتى لامسها، فأخذت ترتعش تحت انظرات الرجل المجهول.

بهدوء، تناول كأسها من يدها ووضعه على الطاولة التي تستند عليها الفتاة. وبدون ان يبتسم داعب فمها بأصبعه ثم امسك وجهها بين يديه.

كان بامكانها ان تدفعه عنها، ولكن لسبب لم تدركه، تركته ينحني ليقبلها. وكانت دهشتها كبيرة عندما لاحظت فقدانها لنزعتها الهجومية ضد الرجال.

ودهشت اكثر من التهاب نيران جسدها، وبادلته قبلة طويلة مليئة بالرغبة.

وعندما افترقت شفاههما، كانا كلاهما لا يزالان تحت تأثر انفعالاتهما.

«يا الهي...» همس الرجل.

«لم يسبق لي ان شعرت بانجذاب مماثل تجاه امرأة منذ سنوات» وعاد وتناول شفتيها، ولكن هذه المرة برغبة اكبر.

واخيراً، ابتعد عنها، وتأملها قليلاً، ثم عاد يتحسس شفتيها بشفتيه بحنان كبير. واجابته سابرينا بنفس الرغبة. لم يسبق لها ان قبلها رجل بهذا الشكل.

«نعم... نعم... نعم» همس بأذنها ليشجعها على الاستجابة اكثر للمساته الهادئة.

المشهد كان يشبه الاحلام، حتى الديكور المحيط بهما، المطبخ الواسع، رائحة الطعام. وطعم قبلات هذا الرجل كل هذا جديد على الفتاة وليست معتادة عليه.

وضمها اليه ورفعها بين ذراعيه، واطبق على شفتيها من جديد برغبة اكبر، ودار بها كأنه يرقص فرحاً.

عندما ابتعد عنها اخيراً، ظل يتأملها، والتقت نظراتهما.

www.elromancia.com

وكانت مقلتي الفتاة مليئة بالبراءة. وتفيض ببريق خاص.

«انت رائعة. قليلة الخبرة، ولكن هذا سيتغير. تعالي معي...» هذا العرض المفاجيء اعاد الى سابرينا وعيها.

«لا استطيع...» همست وارتجفت شفتاها.

«لماذا؟».

«انا... والبرت».

«ما به آل؟ انه هذا المساء مع راقصة الروك التي تسحره، كان يجب ان التقيها، لكن لا شيء يدعو للعجلة». وداعب خدها الاحمر فنظرت اليه بخوف مفاجيء.

«لا تخافي، انا لا اريد ان اجرحك بأي شكل، وبامكاننا المناقشة... حول مشاريعها...».

«مغنية روك؟» قالت الفتاة بسرعة.

«نعم، البرت لديه صديقة صغيرة». قال لها بجفاف. ولكن لن يدوم هذا طويلاً. هيا تعالي، هذا لا يعنينا انا وانت. لقد فهمت منك انك بحاجة للمال، سنناقش هذا الامر».

«انت... انت هاميلتون ريغن تورندون...».

برافو! هذا لا يغير شيئاً بالنسبة لك، هيا، اعدك بانك لن ترحلي فارغة اليدين».

احست الفتاة ان كل شيء يدور حولها. لقد تركت هذا الرجل يقبلها. واحست بخوف كبير. ذلك الخوف الذي سبق ان عاشته والدتها.

ولكن لحسن الحظ وضعها يختلف عن وضع والدتها. ليست هي على شفير الجوع واليأس.

«ماذا حصل لك؟» سألها تورن عندما لاحظ شحوبها.

«انت لا تشك بشيء، سيد تورندون، ايها الثلاثي الاسم! لن تخرجي فارغة اليدين» كررت كلامه بجفاف مقلدة لهجته القوية الواثقة.

«انت من بدأ بالكلام عن المال، وانا انحنيت هذا كل شيء كم تريدين؟».

لقد اصبح الوضع واضحاً. اوه! يا لها من غبية. وغضبت لانها وجدت نفسها في وضع لا يناسبها.

«انا غالية الثمن كثيراً بالنسبة لك».

فنظر اليها باشمئزاز من رأسها حتى اخمص قدميها.

«انت تبالغين».

كانت هذه اهانة كبيرة. حتى ولو كان شقيق البرت، لن تسمح له بذلك، لكن مقلتيه كانت باردة.

«ستدفعينه لي». قال لها بجفاف.

«هذا ما سوف تراه، انا لا اخاف منك». وكان الغضب قد زاد في جمالها.

«من انت؟» سألها فجأة.

«انا جنية كرابوس» اجابته ضاحكة، وخرجت من المطبخ وانضمت الى الموجودين في الصالون.

«ما بك؟» سألها البرت بقلق.

«لا شيء، اين السيد هنتون؟».

«لقد عاد الى منزله بكسر في انفه، لم يحالفني الحظ

www.elromancia.com

معه، لم يبق امامي سوى تورن».

«البرت، بالنسبة لاخيك...».

وفجأة صفق الباب بقوة، فالتفت جميع المدعوين، ولم تكن سابرينا بحاجة لان تلتفت لتعرف من الذي دخل الى الصالون.

«حسناً!» قال البرت ضاحكاً. «لم يؤذك بيك على ما يبدو».

«الن تعرفنا على بعض؟» سأله تورن.

«بالتأكيد. انها سابرينا كان». واحاط كتفيها بذراعه، لكنه عندما لمح نظرات تورن ارتجفت يده فأنزلها.

«اوه... مغنية الروك؟» قال وهو ينظر الى سابرينا بحدة.

«نعم، انها هي»، قال آل مدافعاً عنها.

ولكنه لم يكن يفهم ما يشعر به اخوها وسابرينا.

«كان يجب ان اشك بذلك!». قال تورن بضحكة متعالية.

«لديك موهبة بالفعل».

«شكراً على الاطراء» اجابته بسرعة.

«تورن»، قال البرت.

«اريد ان اتحدث اليك قليلاً».

«ليس الآن» قاطعه اخوه بجفاف.

ثم نظر من جديد الى سابرينا باحتقار واضاف: «لديك ذوق سيء في اختيار النساء». وابتعد عنهما وانضم الى شقراء فاتنة ترتدي ثوباً اسوداً.

رأته سابرينا وهو ينحني ويقبل فم تلك الفاتنة.

«البرت، لا يمكنني البقاء هذا مستحيل...».

«سابرينا، انا آسف».

وكان البرت المسكين يعرف اخيه جيداً، لكن اهانته لسابرينا صدمته كثيراً.

«ايمكنك اصطحابي الى منزلي؟» سألت سابرينا صديقتها جيسيكا التي انضمت اليهما.

«بالتأكيد، ماذا حصل؟».

«اشعر بصداع، اعذرني البرت، اتمنى ان لا يؤثر هذا عليك».

«سابرينا، اقبلي اعتذاري عنه».

«لست مضطراً لذلك، البرت. انا اعرف كيف ادافع عن نفسي. انا متعبة جداً الآن، انذهب جيسي؟».

«تصبح على خير حضرة المدير» قالت له جيسي مبتسمة.

«تصبحان على خير. سأكلم تورن الآن». قال بحزم.

«لا تفسد سهرتك معه» قالت له سابرينا «تصبح على خير».

واسرعت الى الخارج وتبعتها جيسي لاهثة.

«ماذا جرى بينكما في المطبخ؟» سألتها جيسي وهي تقود سيارتها.

«لقد تجابهنا فوراً. لن يسامحني البرت لانني لم استطع البقار اكثر في نفس المكان مع ذلك الرجل».

«انت محقة، هذا الرجل التعيس لا يتفق مع احد،

www.elromancia.com

ويقول البرت انه يمضي كل وقته وحيداً».

«ليس هذا هو انطباعي عنه...».

«النساء تمر مروراً عابراً في حياته فقط».

«كيف تعرفين كل هذا عنه؟».

«مكتبه يقع في نفس الشارع الذي يقع فيه مكتب البرت. وهو يزورنا مراراً. تصوري انه ذات مرة حضر لي القهوة عندما رآني مشغولة جداً!».

اعتبرت سابرينا ان هذا اقل شيء يقدمه لسكرتيرة نشيطة. وهي لا ترى بذلك شيئاً غير عادياً. جيسيكا تجهل كثيراً من الاشياء وانجذاب البرت نحوها، والتهديد الذي يمارسه عليه اخوه ليدمر حبهما البريء السري. كم تمنت لو تقول لصديقتها كم ان البرت متعلق بها.

- ٤ -

وصلتا الى امام منزل سابرينا.

«انت تعلمين»، قالت لها جيسيكا «البرت يخافه كثيراً، وانا ايضاً، لدرجة انه عندما يزورنا في المكتب، نتوقف عن التصرف كأصدقاء! ويلعب البرت دور المدير وانا دور السكرتيرة».

«مع ذلك، اعلمي جيسيكا ان البرت ليس اعمى عن سحرك كما تعتقدين».

«اوه! انا اعلم، سيفتقدني كثيراً اذا توفيت. لن يجد احداً آخر يعد له قهوته» اجابتها جيسي بسخرية.

«لا تتفوهي بالحماقات، جيسي. اوه! لقد افسد ذلك الفظ سهرتنا. من حسن حظك انك لا تعملين معه».

سكرتيراته كثيرات كعشيقاته. انه قاس جداً مع النساء.

www.elromancia.com

وكأنه يكرههن».

«هذا بالفعل ما يبدو لي... انه رجل جليدي».

«ليس في السرير انا متأكدة».

احمر وجه سابرينا كثيراً. هذا الافتراض يفوق معرفتها. ولكن هي تخشى ان تكون قد ذاقت طعم ذلك سلفاً.

«شكراً لك جيسيكا. سأراك غداً».

«سأتصل بك. هل انت متأكدة انك بخير؟ ماذا حصل بينك وبين تورن في المطبخ؟».

«لقد اهنته».

«لن ينسى ذلك ابداً» اجابتها جيسي بحزن.

«كان يريد شرائي لليلة واحدة». شرحت لها سابرينا بصوت مرتجف.

«اوه يا الهي! مسكينة انت سابرينا، انا افهم ردة فعلك، هل اخبرت البرت بذلك؟».

«لا، البرت يجهل ماضي، اذا علم بإهانتي لاخيه، قولي له انني آسفة لانني وضعته في وضع صعب مع اخيه».

«لن يلومك ابداً، انا متأكدة. انت تعلمين...» اضافت جيسي بخجل.

«كنت سعيدة جداً لانه اختارني ان اكون مضيفته لهذه السهرة».

«لقد بدأ ينتبه لوجودك، انت ترين ذلك».

«تورن ايضاً كان لطيفاً، الا انه متكبر جداً».

«انه شخص فظيع». واحست سابرينا بالغضب الشديد.

اذا لم يكن هناك من يقف في وجهه، فأنا مستعدة لصفعه على عينه الاخرى!».

«انا اتخيل هذا المشهد». اجابتها جيسي ضاحكة.

«هيا، شكراً لك. تصبحين على خير». وقبلت صديقتها ونزلت.

عندما وصلت سابرينا الى منزلها، احست بتعب شديد ولم تكن قد تناولت عشاءها عند البرت، ولكن هذه السهرة التعيسة قطعت كل شهيتها للطعام. وللاسف، لم تعد ترى امامها سوى وجه تورن، وتذكرت كيف كان يضمها بين ذراعيه، وقبلاته، والنار التي اشعلها بكيانها بلمساته السحرية.

ايمكنها ان تلومه لانه اعتبرها فتاة رخيصة بعد ان استجابت لقبلاته بهذه الحرارة؟ نعم، نعم، حتى ولو شعر هو بانجذاب قوي نحوها، الا يجب ان يعتبر ردة فعلها طبيعية بدل ان يتهمها بالفجور؟ بالتأكيد هو لا يعرف شيئاً عن مأساة طفولتها، وعن قصة والدتها. فخبأت وجهها في الوسادة واجهشت بالبكاء.

ها هي الآن امام خصم قوي، لقد دمرت آمال البرت... نتيجة جيدة! والآن يعتبرها سيد البترول انها عشيقة البرت ولن يدعها بسلام. وفكرة مواجهته من جديد لا تعجبها ابداً.

استيقظت سابرينا بخوف غريب. وبسرعة تذكرت سهرة الامس، فانقبض قلبها وفكرت بسخرية القدر. اول رجل تشعر بين ذراعيه بمثل هذه الاحاسيس الجميلة، يصبح في

دقائق معدودة عدوها الكبير.

لم تكن ترغب بمغادرة الفراش، لكن يجب عليها ذلك، فالغرفة تنتظرها للقيام بعرض في النهار في احد ملاهي بوربون ستريت. انها اول مرة لا تشعر فيها برغبة في العمل.

في نهاية فترة بعد الظهر، دخل البرت الى الملهى. وانتظر الى ان انتهت سابرينا من احدى اغنياتها حتى اخذها جانباً، وكان يبدو منهاراً.

«ايمكنني ان اكلمك دقيقة واحدة؟».

«بالتأكيد»، وقفزت عن المنصة.

«سأعود بعد دقيقة» قالت للعازفين.

«استريحي عشرة دقائق. لا اكثر». قال لها ريكي ترنر قائد الفرقة.

«لدينا اغنيتان بعد».

«حسناً». اجابته ضاحكة ثم تبعت البرت الى طاولة بعيدة. لكن البرت لم يبتسم ابداً.

«ماذا حصل مساء امس؟». سألها فوراً.

«اسأل شقيقك».

«هذا ما فعلته لكنه اوسلني اليك، سابرينا اذا جرحك بأي شكل...».

«لا تقلق، لقد دافعت عن نفسي. سيذكر للابد الصفعة التي وجهتها اليه».

«ماذا؟». سألها البرت بدهشة كبيرة.

«انت صفعت تورن؟».

«بكل قوتي».

«اوه، الآن فهمت سبب برودته» قال البرت بعد ان تنهد بعمق.

«وهو يريد ان يراك بعد ربع ساعة. قبل ان تنفعلي، اسمعيني قليلاً. لقد اتصلت بوالدتي، واخبرتها بأنني انوي دعوتك لقضاء بضعة ايام في المزرعة. واتصلت بدورها بتورن. يبدو انه هدأ. واعتقد انه يريد رؤيتك لكي يدعوك بنفسه. لا يزال لدي امل في الحصول على مساعدة بالنسبة لمركز رعاية الاطفال. بدونه، لن احصل على المال الكافي».

«الا تزال مقتنعاً انني استطيع اقناعه؟ اما بالنسبة لدعوتك فأنا لا اتمنى قضاء ايام في مزرعة عائلتك...».

«انت مخطئة، فوالدتي ستعجبك كثيراً».

«هذا ممكن، ولكن شقيقك لا يعجبني ابداً».

اخذ البرت يكلمها عن مركز الاطفال، والمستشفى، وتمنى ان يتمكن من معالجة الاطفال المصابين بامراض مستعصية. وبدون مال، سيحتاج لسنوات طويلة قبل ان يتمكن من وضع حجر الاساس، لقد لعب على الوتر الحساس. ورغماً عنها، ضعفت سابرينا.

«حسناً! سأفعل ما تطلبه مني، ولكن اذا حاول شقيقك الفظ ان يهينني من جديد، فأنا لن اسكت هذه المرة».

«حسناً، والآن هيا، اركضي الى مكتبه».

تولى البرت نفسه شرح اسباب اضطرار المغنية للخروج. وبدأ ريكي بالغضب.

www.elromancia.com

خرجت سابرينا مسرعة وهي لا تزال بملابس العمل. ولم يتسع لها الوقت لارتداء ملابسها العادية. وامام المبنى المرتفع حيث يوجد مكتب التورندون كومباني. توقفت لتتمالك نفسها وتسيطر على دقات قلبها المتسارعة. وتذكرت خوفها الغريب عندما استيقظت هذا الصباح. قد يكون تورندون الفظ، الثلاثي الاسم، لا يرغب سوى بنقاش قصير... وقد تكون فكرة تعلق اخيه بمغنية روك تسليه.

دخلت سابرينا المكتب الكبير، فوجدت فتاة تجلس خلف مكتب الاستعلامات.

«يجب ان ار السيد هاميلتون ريغن تورندون. انه ينتظرني، على ما اعتقد».

اخذت الموظفة تتأمل بفضول ودهشة ملابس هذه الزائرة الغريبة، وكانت سابرينا لا تزال ترتدي شورت قصير من الساتان اللماع وبلوزة حمراء ضيقة وبوط من الجلد الاسود.

كادت سابرينا ان تغرق في الضحك، بالتأكيد هي لا تشبه زبائن هذا المكتب العاديين. ولكن لا يمكنها ان تشرح لهذه الموظفة المذهولة بأنها كانت تغني في بار منذ ساعة ولم يتسنى لها الوقت لتبديل ملابسها. لا يهمها ان يراها تورن بهذه الملابس.

«حسناً... سأعلن عن قدومك». قالت الموظفة وهي ترفع سماعة الهاتف.

«سيد تورندون، يوجد هنا آنسة... ما هو اسمك، لو

سمحت؟» سألتها وهي تضع يدها على السماعة.

«سابرينا».

«الآنسة سابرينا هنا. نعم، حسناً». والتفتت نحو الزائرة وقالت.

«انه بانتظارك تفضلي». واشارت لها نحو الباب الذي على اليسار.

شكرتها سابرينا وابتسمت لها قبل ان تدخل الى وكر الذئب. وفور دخولها ندمت لانها لم تغير ملابسها.

«ها انا»، قالت وهي تنظر مباشرة الى مقلتي الرجل الذي كان يجلس خلف مكتبه.

«انت محظوظ لانني تمكنت من الحضور فوراً. انا لا انتهي عادة باكراً. هيا فلنبدأ بالموضوع فوراً، سيد تورندون».

نهض تورن بهدوء، ودار حول مكتبه دون ان يبعد نظره عن سابرينا. ثم ضغط على زر الانترفون، وتمنى من سكرتيرته ان لا تمرر اي اتصال. وكتف يديه على صدره. وكان يرتدي بدلة بنية لا تخفي شيئاً من قوته العضلية وجاذبيته.

«اهذا زي العمل؟» سألها بابتسامة باردة.

«تماماً. لقد جئت فوراً عندما رجاني البرت. فلنبدأ بالموضوع، ارجوك».

«حسناً، كم تريدين لكي تتركي البرت بسلام؟».

«انت لا تنقصك الجرأة» اجابته بدهشة.

«الا يخطر ببالك ان مالك القذر لا يمكنه شراء كل

www.elromancia.com

شيء؟ طبعاً، شراء مصفاة بترول تهمك اكثر بكثير من سعادة اخيك».

ورأت في مقلتيه الزرقاء نظرة مخيفة. فحاولت تمالك نفسها.

«لقد سمعت ان اخي البرت جاء بالطائرة خصيصاً لكي يعلن لك عن قبول طلب عملك وفرقتك في ملهاي الليلي».

«انه ملهى اخيك وامك ايضاً».

«لقد حاول البرت التفاهم معي طوال السهرة. كفاني احتيالك واحتيال امثالك».

- ٥ -

اضاف بقسوة مخيفة «اريد ان اوضح لك انه لا مجال لمجيئك الى المزرعة، انها مكان لا احتمل وجود نساء فيه».

«اذا اصر البرت على اصطحابي معه، فسأكون سعيدة بالقبول».

وفي قرارة نفسها، تساءلت لماذا يدعوها البرت، ولا يدعو جيسيكا التي تحتل كل افكاره. ايعتمد عليها ليضيع اخاه؟.

«اسمعيني. ايتها المغامرة الصغيرة» قال تورن بلهجة اكثر قساوة: «انا لن ادع اخي ينخدع بجمال عينيك اللتين لا تلمعان الا طمعاً بماله». واقترب منها وامسك ذراعها بقوة وسحب من جيبه شيكاً ولوحه امام عينيها».

www.elromancia.com

«ستأخذين هذا الشيك وتختفين. والا سأصبح شريراً، صدقيني». ودس الشيك في صدرها وجذبها نحو الباب.

«ساعتذر عنك امام والدتي». اضاف قبل ان يغلق الباب خلفها.

امتلأت مقلتي الفتاة بدموع الغضب، واخذت ترتجف بقوة ولم تعد قادرة على الكلام. هذا المشهد يذكرها بأشياء كثيرة. فتناولت الشيك ولكنه لعنة، ودون اي تفكير عادت الى مكتبه. وعندما رأت ملامحه، ادركت انه لم يجرؤ لاحد من قبل ان تصرف معه بهذا الشكل.

«اسمعني، ايها المتعجرف». قالت له بحدة واصرار.

«لقد دعاني البرت الى المزرعة، وسأذهب واحتفظ انت لنفسك بدولاراتك الثمينة».

نهض تورن بصمت ينذر بالخطر، واقترب منها.

«ارفع يدك علي، وانا سأرفع عليك قضية امام القانون».

«بامكاني ان افعل اسوأ من ذلك...».

«دعني والا...».

لم تستطع انهاء كلامها، لانه ضمها اليه، واطبق فمه على فمها بشكل مؤلم. فأخذت تقاومه بيديها ورجليها.

ولكنه كان يمسكها بقوة، وكأن ضرباتها لا تؤثر به. بعد قليل، تحولت قبلته العنيفة الى قبلة لذيذة. وكانت سابرينا حبيسة بينه وبين الحائط ولا يمكنها الهرب، وشيئاً فشيئاً، اخذ يداعب ظهرها وخصرها ويلتصق بها اكثر واكثر. ورغبته القوية اربكت الفتاة كما اربكها اشتعال النار في

جسدها.

«انك تؤلمني».

«واخيفك؟» سألها يهمس.

«نعم». اعترفت الفتاة.

فابتعد عنها، وبدأ قلب الفتاة يهدأ.

«امن عادتك ان تهاجم النساء... هكذا في مكتبك؟» سألته وحاولت ان تبتسم.

«ابداً» اجابها دون ان يبتسم.

«عموماً لكنهن متعقلات ولا يحاولن استفزازي». ثم ضحك بمرارة واضاف:

«للحقيقة، انت تجذبينني اكثر من كل النساء اللواتي عرفتهن» ادارت سابرينا وجهها لاخفاء احمراره.

«اذاً، انت تريدين ان تثبتي لي انه يمكنني شراءك؟ اليس كذلك!!؟» وعاد الى مكتبه وتناول سيجاره.

«نعم».

«هناك طرق اخرى لجعلك تنحنين».

«ان تغريني. مثلاً؟». سألته بلهجة تحد.

«ليس لديك اي امل. لن اتركك تقترب مني مرة ثانية».

«أتريدين المراهنة؟ اذا جئت الى المزرعة، تكونين تجازفين مجازفة كبيرة».

«كل ما تتمناه، هو اختيار زوجة لالبرت، اليس كذلك؟ لاسباب...».

«فكري بما تشائين، لا يهمني ذلك، ولكن اذا استمريت بملاحقة ألبرت ستجدينني دائماً في طريقك،

انسحبي الآن قبل ان تدفعي ثمن دهاءك».

«اهذا تهديد؟».

«انه مجرد وعد» ثم سحب نفساً من سيجارته، ومرر اصابعه في شعره، وللحظة تغيرت نظراته واصبحت رقيقة، لكن هذا لم يدم طويلاً.

«انا رجل واضح ومتفهم، بامكانك ان تحتفظي بالشيك، اذا كنت تريدينه، الست كريماً؟».

«واذا جئت الى المزرعة؟».

«حاولي» اجابها بعد ان سحب نفساً آخر من سيجارته، «سترين جيداً».

فكرت الفتاة قليلاً، هذا الشيك يمثل مبلغاً جيداً يساعد البرت في مشروعه الخيري، فمدت يدها نحو الشيك.

بدت الخيبة على وجه تورن، ومع ذلك ناولها الشيك.

«انت ذكية».

«اكثر مما تعتقد» ولعبت دورها حتى النهاية، وطبعت قبلة على فمه قبل ان تخرج.

عندما عادت للغناء بعد ساعة تقريباً، كان اداؤها غريباً، ستذكر هذا اليوم طويلاً، انه يوم مميز في مهنتها، لم يسبق لها من قبل ان غنت بمثل هذا الصوت الدافىء، وكانت انفعالاتها اكثر عمقاً، وجسدها اكثر اثارة.

بانسجام كبير، تجاهل الجمهور الموسيقى وشغفوا بهذا الصوت، والاداء الرائع، وبعد ان صمتت الموسيقى بلحظات تعالى التصفيق، وكان البرت يجلس في احدى الزوايا وينظر الى صديقته بقلق ودهشة، وعندما انضمت

اليه، كانت عيونها لا تزال تلمع بالسحر، او بالغضب.

«ما الذي لا يسير على ما يرام؟» سألها البرت.

«انت دائماً شديد الملاحظة» اجابته مبتسمة «لقد قمت بجولة اخرى مع اخيك».

«اوه، لا!» صرخ البرت «اعتقدت انه يريد عقد صلح معك!» فتناولت الشيك ووضعته بين يدي البرت.

«هذا ما يعتقده اخوك سعراً لك، عشرون الف دولار، لو كنت مكانك لغضبت كثيراً، انت تساوي بالنسبة لي اكثر من مئة الف دولار!».

اصفر لون البرت ثم احمر واخضر.

«الم تشعري برغبة لرمي الشيك بوجهه؟».

«هذا ما فعلته، بالتأكيد، ولكنه تحداني ان اطأ بقدمي ارض المزرعة، انت تتصور ردة فعله، لكني قلت له ان ينتظر وسيجدني هناك، اليس هذا بسبب صداقتي لك؟».

«اوه! سابرينا، انت رائعة!» اجابها البرت ضاحكاً. «اذاً ستأتين معي، هذا صحيح؟».

«طبعاً».

«رائع!» قال البرت بحماس «واخيراً ستنجح خطتي، بالمناسبة ماذا ستفعلين بهذا الشيك؟».

«انه لمؤسستك طبعاً، تبرع من اخيك العزيز...» ودست الشيك في جيبه.

«انت متأكدة سابيرينا؟ تورن يعتقد انه يشتريك».

«اذاً؟».

«لن يسامحك ابداً، انت تعلمين، انه قادر على ان

يكون مؤذياً».

«لقد عشت الخطر دائماً».

«بامكانه ان يدمرك... حقاً».

«باموالـه؟» سألته ضاحكة.

«لا، حتى بدون ذلك».

«انا اكره ان اهان، وكل ما سيفعله معي سأرده له».

«اذاً انت مستعدة لمساعدتي حتى ولو اضطررت لمواجهته؟».

«تماماً».

«شكراً، سأبدأ بتقديم خاتم الخطوبة لك».

هذا الاعلان جعل الفتاة ترتبك، ونظرت اليه بخوف، لكن البرت لم يستطع ان يمنع نفسه من الضحك.

«لا تخافي، هذا ليس طلباً للزواج، انا احبك كثيراً ولكن...».

«ولماذا هذه الخطوبة المزيفة؟».

«لقد تعبت من تدخل تورن في حياتي الخاصة، انه يكبرني فقط بخمسة اعوام، ويتصرف معي وكأنه والدي. فقررت ان العب معه على طريقتي هذه المرة».

«ما الدور الذي ستعطيني اياه في لعبتك هذه؟».

لا تبتعدي عني لحظة، اظهري حبك الكبير لي، وخاصة في المزرعة، وهو سيصبح مجنونا».

«انا لا ارغب بخداع والدتك».

«لا تخافي، لن تأتي من اوروبا. فمنذ وفاة والدي وهي تقضي هناك معظم وقتها. لقد كبرت تحت رعاية تورن

وتحت قبضته. لقد اصبحت في الخامسة والعشرين من عمري وهو لا يزال يمسك بكل ادارة تورندون كومباني. وانا سأقوم بحرب صغيرة للحصول على بعض حريتي واستقلالي».

«انك لا تشبه اخاك ابداً، البرت، اعتبر هذا اطراءاً».

«حقاً؟ مع ان اكثر النساء يجدنه فاتناً ومثيراً».

«انا لا احب الرجال المتسلطين. لقد عشت حياتي على حريتي، ولا يمكنني ان اعيش تحت سلطة احد».

«وهذا ما يجب ان افعله. لقد تعلمت مهنتي جيداً، وبعد عام واحد سأحصل على كل حصتي».

«وماذا ستفعل؟».

«سأستثمر رأس مالي بتأسيس شركة خاصة، بالبترول طبعاً. ثم امسك يد سابرينا وقبلها.

«انت ستساعدينني في الحصول على استقلاليتي. ضعي خاتمي في اصبعك لاسابيع قليلة فقط، وعندما يرى تورن هذا التحدي ا لكبير امام عينيه، سيرضخ للامر الواقع».

«لتأمل ذلك. ولكن لا تختار خاتماً ثميناً».

«سابرينا، يا عزيزتي، انت متواضعة جداً».

لكنه لم يستمع لرأيها، وكان الخاتم الذي قدمه لها في اليوم التالي ثميناً جداً، وهو من الذهب والزفير والالماس.

«لا تعترضي». قال لها عندما فتحت فمها لتعترض.

«انسيت انني لست فقيراً».

«اتساءل عن الحاجات الضرورية الكثيرة التي يمكن

شراؤها لجيراني الفقراء بثمن هذا الخاتم».

«لا، سابرينا، لا يمكنك بيعه!».

«بالتأكيد». اجابته ضاحكة، «لكني اشعر بالخجل وانا اضع مثل هذا الخاتم الثمين».

«انت مخطئة، يبدو وكأنه صنع خصيصاً لك. انه يناسب بشرة يدك البيضاء... لقد اتصل بي تورن». اضاف بعد تردد قصير.

«اوه؟». وحاولت اخفاء ارتباكها.

«ولقد اخبرته انني اشتريت لك خاتم الخطوبة».

«وكيف كانت ردة فعله».

«لقد قطعت الخط لكي لا اسمع اهاناته».

«متى ستذهب الى المزرعة؟». سألته سابرينا بدون حماس.

«بعد غد».

«بهذه السرعة؟».

«لا تخشي شيئاً، انا سأحميك، على كل حال، تورن لا يقضي اوقاتاً كثيرة في المزرعة».

«البرت... قد تكون فكرتك هذه... غير ناجحة...».

«لن تتراجعي الآن!».

«البرت... ان شقيقك يخيفني».

«اعلم ذلك». اجابها وبدا القلق على وجهه. فندمت سابرينا لانها اخبرته بخوفها. فنهضت بسرعة.

«ستكون حقيبتي جاهزة. الآن يجب ان انام. هل

ستصطحبني معك؟».

«بالتأكيد، اكرر لك، كل شيء سيكون على خير ما يرام».

كانت تشك بذلك، وكان املها الوحيد ان لا يبقى تورن طويلاً في المزرعة.

وعندما اوقف السيارة امام منزلها، خطرت ببالها فكرة جعلتها ترتعش.

«جيسيكا!». قالت بصوت ضعيف.

«ماذا تقولين؟».

«اوه! كنت اتساءل ماذا سيكون رأي الناس بخطوبتنا المزعومة».

«ماذا تخفين عني، سابرينا؟ ما الذي يقلقك؟».

فلتذهب وعودها الى الجحيم! انها تحب جيسيكا كثيراً، ويجب ان لا تخسر صديقتها بلعب دور خطيبة البرت.

«جيسيكا لن تسامحني ابداً، ولكن... هي تحبك».

بدا البرت وكأنه تلقى صدمة قوية. فأخذ يتأمل تابلوه السيارة ويحرك مفاتيحه بعصبية.

«اهذا صحيح؟».

لم تجبه سابرينا. واخيراً اخذ البرت نفساً عميقاً وابتسم.

«هل انت متأكدة؟».

«نعم».

اختفت ابتسامة البرت من جديد.

«وماذا سيغير ذلك؟ لن يدعني تورن ان اتزوجها. فهي

www.elromancia.com

لا تملك مصفاة نفط كمهر لها!».

«انا لا اريد ان افرض وجهة نظري. ولكن الآن لا املك سوى نصيحة واحدة اقدمها لك: اذهب الى جيسيكا الآن، واخبرها عن خطوبتنا الزائفة. هي في منزلها وكانت تنتظرني لنشرب الشاي معاً. اذهب انت مكاني».

«انت... انا».

«آه، دعك من النقاش. لن يعلم تورن شيئاً اذا لم تخبره، هيا، تشجع!».

«انت محقة». اجابها بسعادة. «الن تلوميني لاني زجيتك في هذه المخاطرة؟».

- ٦ -

ابتسمت له سابرينا. ولكن عندما اصبحت وحدها في شقتها، تمنت ان تتراجع. وندمت لانها كشفت عن عواطف صديقتها و فكرت بالاتصال بجيسيكا، لكنها غيرت رأيها. فصديقتها كبيرة وواعية وقادرة على التصرف وحدها. هذا ما كانت تعتقده حتى صباح اليوم التالي.

كانت تشرب قهوتها عندما سمعت دقات على بابها، وعندما فتحت الباب، وجدت جيسيكا امامها، ووجهها شاحب ومقلتيها حمراوتان.

«جيسي ما بك؟».

«لا شيء، لا اعرف، اتقدمين لي القهوة؟».

اعدت سابرينا القهوة وعندما عادت الى غرفة الجلوس، وجدت جيسيكا تخبيء وجهها بين يديها.

www.elromancia.com

«ما بك، جيسي؟ هل انت والبرت...».

«ماذا قلت له مساء امس؟». سألتها الفتاة وهي تمسح دموعها.

«لا شيء». واحمر وجه سابرينا.

«لا اصدقك، لقد زارني مساء امس، واخبرني بخطوبتكما و... انا... انت تعلمين شعوري نحوه، ففقدت كل اعصابي، وصفعته... واخيراً باختصار... ضمني بين ذراعيه، وقبلني وقال لي ان خطوبتكما ليست سوى خطة لخداع تورن،... وبقي... لقد قضيت اجمل ليلة في حياتي. والآن لا اجرؤ على العودة الى منزلي، فهو لا يزال هناك، ولا اجرؤ على الذهاب الى المكتب، انا احبه بشكل جنوني... والآن ازداد حبي له، ولكني لست ادري ماذا يظن...».

ضحكت سابرينا وقبلت صديقتها.

«ماذا سيظن؟ انه متعلق بك كثيراً. انت تعرفينه جيداً، والا لما قضى الليلة عندك».

«لن يصدق...».

«سأتصل به». قالت سابرينا وهي تتجه نحو الهاتف.

«لا ارجوك».

«اهدئي ودعيني اتصرف». وادارت قرص الهاتف.

رن جرس الهاتف طويلاً قبل ان يجيب البرت بصوته الناعس.

«صباح الخير».

«صباح الخير، سابرينا؟». ثم ساد صمت قصير.

«سابرينا، هل جيسي معك؟ اوه! يا الهي، لقد اختفت. اتمنى ان لا تعتقد...».

«انها هنا، ويجب ان تتكلما. اعتقد انه يوجد بينكما اشياء كثيرة تتحدثان عنها... برأيي، لن يطول سوء التفاهم بينكما».

«دعيني اكلمها، لو سمحت!».

كانت جيسيكا تقف خلف سابرينا وتفرك يديها بعصبية. ولم تجرؤ على الامساك بسماعة الهاتف.

«كلميه، جيسي، ارجوك».

تناولت جيسي السماعة.

«نعم... نعم.... نعم». وابتسمت بخجل. فاطمأنت سابرينا، وتركتها وحدها ودخلت الى المطبخ. وبعد لحظات انضمت اليها جيسيكا وهي منهارة سعيدة وحزينة قليلاً.

«سأعود الى منزلي، سنتكلم معاً. واخيرا، مع ان هذا بدون امل. انا اعلم بأن تورن سينفيني الى سيبريا ولن يسمح لالبرت بالزواج مني. انا لست غنية، كما انني مطلقة... كل شيء يعمل في غير صالحي».

«ليس كما تتصورين، واخيراً. قد تخدم خطوبتنا المؤقتة هدفاً آخر...».

«اوه! سابرينا، كم اتمنى ان تكوني سعيدة مثلي».

«انا ليس في الحب سأجد سعادتي». اجابتها سابرينا بابتسامة.

«يجب ان اذهب الآن. البرت ينتظرني».

www.elromancia.com

«حاولي ان تفهميه انه لن يكسب شيئاً اذا رضخ دائماً لمشيئة اخيه».

«انه يعلم هذا. وهذا ما يعذبه، انتبهي انت عليه ايضاً».

«لا تخشي شيئاً. جيس».

«اوه. كم انا سعيدة بصداقتك!». وعانقت صديقتها وقبلتها فنظرت اليها سابرينا بطرف عينيها، واشارت الى الخاتم.

«سأحتفظ لك به، موافقة؟».

«انت تعلمين، كدت اصاب بالجنون عندما اخبرني البرت عن خطوبتكما».

«والآن، اجد كل هذا سخيفاً». ثم ضحكت.

«كنت اتمنى ان ار ردة فعلك».

«فقدت كل اعصابي. الى اللقاء الآن. شكراً لك على القهوة. . . وعلى كل شيء!».

وفي المساء ثفاجأت سابرينا بصديقيها ينتظرانها في البار، وعندما انهت وصلتها الغنائية انضمت الى طاولتهما بعد ان بدلت ملابسها.

«تبدوان بأحسن حالتكما، انتما الاثنان. ماذا تخططان؟». قالت لهما ممازحة.

«انا وجيس سنتزوج الاسبوع القادم». قال البرت بسعادة كبيرة.

«رائع!». صرخت سابرينا وعانقت صديقيها.

«كما قلت لك، جيس، هذا الخاتم سيكون لك، وماذا

سنفعل بالذئب الكبير؟».

«للحقيقة». شرح لها البرت.

«يوجد بند في وصية والدي يمكنني الحصول على حصتي من ارثه، اذا تزوجت قبل الخامسة والعشرين من عمري. وهذا يعني انني لا اكون تحت قبضة تورن. فأنا وجيس نصبح خارج قبضته».

«اذاً يجب علي ان ادير انتباهه حتى زواجكما؟». سألته سابرينا، وكانت قد بدأت تفهم خطته.

«في المزرعة، وتحت حمايتي وحماية والدتي. لن يزعجك شيء وعندما سيتغيب تورن، سأغتنم الفرصة لترتيب آخر الشكليات مع جيسيكا».

ظلت سابرينا تفكر. بالتأكيد سعادة صديقيها لا تسمح لها بالتراجع، ولكن فكرة مواجهتها من جديد مع تورن لا تشجعها ابداً. فهي لم تنس الرغبة والانفعال الذين شعرت بهما بين ذراعيه. وبدون شك، ادرك هو ذلك. ماذا سيفكر عندما يرى اصرارها على الخطوبة؟ هل سيسرع لانقاذ اخيه؟ ولكن بأية وسيلة؟.

«سنرحل غداً». ذكرها البرت «هل نسيت؟».

«لا. . .».

«ستحل مغنية اخرى مكانك لمدة اسبوع. وستعودين لعملك بعد ذلك. . .». وكأنه لم يكن يصدق نفسه. فأضاف بصوت منخفض.

«سامحيني، سابرينا، انا لست بمستوى تورن. اوه! من يمكنه الوقوف في وجهه؟».

«لا تقلق». اجابته واصطنعت الضحك، «اذا رفض ان يعيدني الى العمل، سيكون لي نقاش طويل معه في المزرعة».

ايمكنها ان تلوم شخصاً آخر؟ فهي تعرف ما هو الضعف والخوف. وتحب جيس والبرت كثيراً. ولا يمكنها التخلي عنهما.

نهضت وقبلت صديقتها بمحبة.

«ذلك الاخ الاكبر لن يلمس شعرة منك، يا جميلتي سأسهر على ذلك».

«اوه! سابرينا! كم احبك، انتبهي منه، فأنت رقيقة جداً اكثر مما تعتقدين».

عادت سابرينا الى منزلها. وحضرت حقيبتها، وهي متأكدة انها ترتكب اكبر غلطة في حياتها.

«لم تكن مزرعة آل تورندو بعيدة جداً عن بومون، كانت في شرق تكساس، وكان المنزل الكبير يقع وسط اشجار خضراء وبساتين واسعة. وهو على شكل فيكتوري مؤلف من طبقتين. ويطل على حديقة كبيرة.

كثيراً ما حلمت سابرينا وهي صغيرة في الملجأ بأن تعيش في احد هذه المنازل الفخمة التي كانت تراها في الصور. وانقبض قلبها عندما رأت سيارة رولز رويس متوقفة امام المنزل. انها سيارة تورن بدون شك.

«لقد وصلنا». قال البرت وهو يقطع محرك سيارته المرسيدس. وبنفس اللحظة ظهر فارس من بين الاشجار واتجه نحوهما على صهوة جواده الابيض. لم يسبق

لسابرينا ان رأت فارساً بمثل هذا الجمال وهذه الشخصية القوية، لابد انه احد العاملين في المزرعة.

«انه فارس ماهر اليس كذلك؟». قال لها البرت.

«عندما كنت صغيراً، كنت احلم بأن اصبح مثله، في تلك الفترة، كان يكسب كل سباقات المنطقة. وامتنع عن المشاركة في السباقات بعد وفاة والدنا. للحقيقة، هو ليس سعيداً».

اقترب الرجل اكثر، وتعرفت سابرينا عليه. كان يرتدي جاكيت واسعة ويضع قبعة واسعة مما جعل من الصعب عليها التعرف عليه من بعيد.

وعندما رآها ابتسم بسخرية. ولاحظت الفتاة انه لم يعد هناك اثر للضربة التي تلقاها على عينه في ذلك اليوم.

«صباح الخير، يا مغنية الروك. من كان يعتقد انك ستأتين؟».

تحملت الفتاة نظرته الساخرة. واجابته بهدوء.

«انا اعرف انني اجازف، وكذلك اعلم بأنني استطيع التصرف، ايها السيد الثلاثي الاسم». وابتسمت بسخرية.

لم يبد عليه انه اعجب بهذا التحدي. فأشعل سيجارة وعقد حاجبيه.

«ما هي آخر الاخبار؟». سأله البرت محاولاً تغيير الموضوع.

«سينقصنا العلف هذا الشتاء. لقد طلبت كمية جديدة».

«هل وصلت والدتي؟».

«لن تأتي». اجابه تورن وقد ازدادت ملامحه قسوة.

«يبدو ان عشيقها الجديد لا يريدها ان تغادر اوروبا. وهي ايضاً لا ترغب بالمجيء. انت تعلم ذلك». اضاف بلهجة احتقار.

«هذا مؤسف!». اجابه البرت.

«كنت اتمنى... انها لم تأت الى المزرعة منذ عام تقريباً».

«انها لالا تحب رائحة المواشي». اجابه تورن بجفاف ثم التفت نحو سابرينا «ملابسك الساتان القصيرة لا تناسب هذا المكان، آنسة».

«اذاً، لن ارتدي شيئاً. فالبرت لا يجد ضرراً في ذلك».

- ٧ -

رمى تورن سيجارته بعصبية.

«ستقيمان في غرف منفصلة. انا هنا سيد المكان، ولن اتردد في رميك خارجاً اذا اضطرتني الظروف». قال هذا ودار على عقبيه وابتعد.

«انه رجل من حديد». قالت سابرينا بأسف.

«انه لا يتراجع عن قلة ادبه. اهو يشبه والدتك؟».

«لا، انه يشبه والده. كان والدنا متسلطاً رغم كونه كريم ومتسامح. وتعذبت والدتي معه، فأرادت ان تنتقم منه، كان هناك رجال آخرون في حياتها. وكرهها تورن لعدم اخلاصها لوالدنا. وهي تعلم ذلك، واعتقد ان هذا هو سبب بقائها في اوروبا. ذات يوم، فاجأها والدي مع احد عشاقها في احد الفنادق، فجرها الى السيارة بعنف. وكان

www.elromancia.com

غاضباً جداً لدرجة انه قاد سيارته بسرعة جنونية ادت الى وفاته».

«اوه! يا الهي! كم كان عمر تورن؟».

«كان بمثل عمري. في الرابعة والعشرين. لا يمكنني ان انس ابداً كيف استقبل والدتنا. وماذا قال لها. فرحلت بعد الدفن فوراً، وعاشت عند خالها في انكلترا».

فارتاعت سابرينا، ايعلم تورن شيئاً عن ماضيها حتى يستقبلها بهذا الشكل؟ واحست بقشعريرة مفاجئة، وتبعت البرت نحو المنزل.

«سابرينا، تورن قادر على كل شيء عندما يكون بمثل هذا المزاج، لا تستفزيه، وابقي قريبة مني».

«هذا ما انويه بالفعل».

لم يكن اثاث المنزل فخماً كشكله الخارجي، وكله قديم، واول ما لفت نظرها كؤوس فضية فوق المدفأة.

«اهذه انتصارات تورن في الفروسية؟».

«نعم، وتورن يحب هذه المزرعة. وهو الذي يديرها».

حياة الريف هذه تعجب سابرينا كثيراً، ولا تزال تحتفظ بذكريات قليلة عن اقامتها في مزرعة جدها والد ابيها قبل ان يختفي والدها. هناك فقط سمحت لها الفرصة بالركوب على الخيل، لقد مضى على ذلك زمن طويل جداً.

«لابد ان تورن فخور جداً بهذه الكؤوس».

«بالفعل». اجابها صوت حاد من الخلف.

لم تستطيع سابرينا منع نفسها من الارتعاش عندما رأته بهذه الاثارة بنطلونه الجينز وبوطه الموحل. بالرغم من

طبعه الحاد، الا انه جذاب جداً.

«اذا انت تعلمين بأن اسمي تورن، وليس الثلاثي الاسم؟».

«لم اكن استعمل اسمك بالكلام معك مباشرة. انا اترك مثل هذا لاصدقائك المقربين، وانا لست منهم».

«اذاً، الحرب بدأت يا جميلتي؟».

«كانت قد بدأت من قبل. ولا تأمل في ان تراني اعلن راية السلام البيضاء. ولا تناديني بجميلتي انا اكره هذا التعبير».

تأملها تورن طويلاً، وكأنه يدرس عدوه جيداً ليكتشف سر قوته وضعفه.

«اتبحث عن نقاط ضعفي؟». سألته ضاحكة.

«لا تأمل في ايجادها، انا اقوى واصلب منك، ايها السيد الثلاثي الاسم!».

«ستكونين بحاجة لذلك».

ادرك البرت ان هذا النقاش سيشعل نار الحرب. فقرر التدخل.

«تعالي لأريك المنزل. سابرينا».

فأمسكت ذراعه بدلال وادارت وجهها عن تورن بسرعة.

«بكل سرور».

لكن تورن استوقف اخاه.

«نحن على وشك حفر بئر جديد على بعد ثلاثة اميال من هنا اريدك ان تراه».

«الآن؟».

www.elromancia.com

«نعم، هيا وبدل ملابسك».

«اتأتين معنا، سابرينا؟». سألها البرت.

«هل تجيد امتطاء الخيول؟». اجابته سابرينا بحدة.

«كما وانها تتكلم وتستطيع الاجابة على اسئلتك بنفسها».

«سأحضر حقيبتي». قال البرت ضاحكاً.

«سنلتقي بعد قليل».

تمنت سابرينا ان تتبعه وتهرب من تورن. لكنها لم تكن تريد ان يلاحظ خوفها منه.

«انك لا تترك فرصة دون ان تظهر فيها فظاظتك». قالت له عندما رأته يتأملها بسخرية.

«انت تملكين القدرة على استفزازي، يا جميلتي. انتبهي، مع البرت او بدونه انا قادر على التهامك بسرعة».

«انا حذرة اكثر مماتتصور». اجابته بتحد.

فأشعل تورن سيجارة دون ان يرفع نظره عنها.

«احياناً تلعب الصدف دوراً سخيفاً. في ذلك المساء، عندما التقيت بك في منزل البرت، شعرت بلذة كبيرة لم اشعر بمثلها عندما اضم بين ذراعي امرأة اخرى. ولكن بعد لحظات، وجدت نفسي امام امرأة شريرة، طماعة، دور تلعبينه بعناد...».

«كنت حقيراً عندما اعتبرتني امرأة فاسقة».

«مهما كان الامر، لن ادعك تتزوجين البرت، لا شيء سيثنيني عن عزمي».

«لا شيء؟». سألته باستفزاز.

«لا تدعيني اؤذيك، سابرينا انت تستغلين الظروف، لكني لن ادع اخي فريسة لامرأة محتالة».

«انت تعتبرني حقاً امرأة مغامرة؟».

«الم تقبلي شيك العشرين الف دولار؟».

لم تستطع سابرينا اخباره عما فعلته بالشيك، لان هذا سيكشف قصة جيسيكا والبرت.

«اذا اطعتني، سأنسى هذا الشيك، وسأجد لك ولفرقتك عملاً في مكان آخر. شرط ان تتركي البرت، لا شيء اكثر».

«اوه! ولكنه هو الذي لا يريد ان يتركني». اجابته بسذاجة.

اقترب منها تورن ورفع يده، ولكن كان ذلك ليداعب خدها وشفتيها المرتجفتين.

«توقفي عن هذه اللعبة». همس تورن «انت لست بحاجة لهذا التمثيل. تكفيني دقائق قليلة لكي اوقع بك في احضاني».

«انت مدع. انسيت انني خطيبة البرت؟». اجابته بسرعة، وكان يربكها قربه منها.

«حالياً فقط». اجابها، وداعب عنقها وخدها. ثم رفع يدها بسرعة وكأن نعومة بشرتها تحرقه.

«انا لست لطيفاً، سابرينا، ولا حنوناً مع النساء. ولن استغل براءتك ولكني اعلم انك قادرة على جعلي افقد صوابي... اذاً حافظي على مسافة بيننا. موافقة؟».

لم تستطع اجابته فوراً. هذا الموقف فاجأها، وتورن

www.elromancia.com

يدهشها اكثر واكثر.

«انا اعرفك بريئة كالحمل الوديع» اضاف تورن.

«اوه! لا تحاولي اثبات العكس. انت شفافة ورقيقة رغم مظهرك، سابرينا. ولكنك تمثلين مشكلة بالنسبة لي... لن اجذبك الى سريري لكي اجبر اخي على قطع علاقته معك؟».

«ستفعل ذلك؟» سألته بخوف.

«لقد قلت لك لتوي انني لن افعل، لانك انت. افهميني، البرت هو اخي، انا احبه، على طريقتي، انت لم تهتمي بتحذيري. مع انني اشتريتك...».

«اوه! قد تفعل لكي تتمكن من ابعاد البرت عني».

«لدي كل الوقت. وعندما سأتصرف ضدك، سأكون انا الرابح».

- ٨ -

وابتسم بجفاف ابتسامة كشفت عن بعض ضعفه، غريب، تخيلته سابرينا طفلاً هادئاً، لم يدخل من قبل في معركة مع احد، وخاصة مع النساء. الا بسبب كرهه لوالدته.

«لماذا تنظرين الي هكذا؟».

«يؤسفني كثيراً ان نكون اعداء» اجابته بصدق مفاجيء.

«كنت اتمنى ان اكتسبك صديقاً».

اختفت ابتسامه تورن، وقست ملامح وجهه.

«انا ليس لدي اصدقاء، لا رجال ولا نساء».

«الم يخطر ببالك ابداً انه يوجد مشاعر واحاسيس انسانية...؟».

«وانت من سيعلمني ذلك؟» سألها بضحكة ساخرة.

www.elromancia.com

«انت لا تنقصك الجرأة!».

«سابرينا؟» نادها البرت.

فابتسمت بسرعة وانضمت الى خطيبها المزعوم.

«اريد ان اغسل وجهي قبل الخروج. ايمكنك ان ترشدني الى غرفتي؟».

رافقها البرت الى غرفتها في الطابق العلوي.

ظلت تهديدات تورن ترن في اذنيها، يا لسخرية القدر! انه يحاول جاهداً ان يحمي اخيه الصغير من خطر وهي، وهي ايضاً تحاول انقاذ سعادة صديقها البرت. وفي قرارة نفسها دهشت وتعذبت من فكرة عدوانية تورن لها. هل البراءة وقلة الخبرة ظاهرتان على وجهها؟ ولكن لا يجب ان يربكها رأي تورن بها. فغلطة واحدة تهدم سعادة جيسيكا والبرت، فقط لو كان بامكانها ان تكره تورن كرهاً كبيراً، لكان عندئذ كل شيء سهلاً. انه يشبه بكل شيء الرجال الذين كرهتهم في طفولتها، وخاصة الاخير الذي كان السبب في مصير والدتها لمأساوي.

هذه الذكريات الاليمة جعلتها تشعر بقشعريرة باردة. وعاد اليها وجه تورن. انها تعرف معه مشاعر غريبة، لكنها ايضاً تضع قناعاً يخفي مشاعرها. فاذا كانا متشابهين في وحدتهما، الا انهما يجدان نفسيهما في معسكرين متضادين!.

لم تكن سابرينا قد امتطت حصاناً منذ فترة طويلة جداً، لكن الفرس الذي قدمه لها تورن كان هادئاً جداً. كان جدها قد اهتم بها لمدة سنتين قبل وفاته، وفي تلك الفترة

علمها ركوب الخيل لكن وفاته صدمتها بشكل كبير.

كان محيط المزرعة رائعاً، وارضه منبسطة الى ان تصل الى التلال، وكانت كل هذه الاراضي تزرع قبل اكتشاف الذهب الاسود، والذي ادى لتأسيس ثلاث شركات نفط كبيرة في هذه الولاية، والرابعة هي شركة تورندون.

اصطحبها تورن الى موضع البئر. واظهر ادباً ملحوظاً تجاه سابرينا، وكأنها ضيفة مثالية، ادهشها تبدل مزاجه، وابتسم لها البرت مشجعاً.

«كم هو جميل التخيل في هذه المزرعة» قال لها البرت.

«كان يجب ان تأتي الى هنا دائماً اجابه تورن.

«انت لا تتنشق الهواء جيداً. تحبس نفسك دائماً في مكتبك».

«على كل حال. عندما سأتزوج انا وسابرينا...».

لم يتمكن من انهاء كلامه. فنظرة واحدة من اخية كانت كافية لاسكاته ولشحوب وجهه وكأنه امام خطر كبير.

«الزواج شيء جدي» قاطعه تورن بجفاف «الم تفكر بمهنة سابرينا؟ هل ستتخلى عن كل شيء لكي تهتم بك وبعائلتك؟».

ستتابع عملها اذا رغبت في ذلك. الا تزال ضد تحرر المرأة؟».

«فقط عندما تتعارض حريتها مع حريتنا... او مبادئنا، ما رأيك بنظرات الرجال التي تكاد تلتهم سابرينا وهي تتمايل بثياب عملها الرقيقة...؟ سكت البرت، ونظر تورن

الى سابرينا بحدة.

«انت، ماذا لديك لتقدميه لزوجك؟ وقت فراغك؟ فانت تقضين كل وقتك في الملاهي الليلية».

فكرت سابرينا بسرعة. لم تكن تنتظر مثل هذا السؤال.

«انا سألتزم منزلي واهتم باولادي».

دهشة تورن جعلتها ترتبك، فاخفضت نظرها.

«هل انتهت جولتنا؟» سألته بخجل «انا بدأت اجوع».

«من عادة الكوي بوي في الماضي ان يحمل نعمة معه» قال البرت ضاحكاً.

«انا ارغب بخروف مشوي الان» قالت سابرنا وهي تبتسم لتورن.

«م م م... ان تقطع اللحمة ونضعها في فمنا...».

«المسا احد نعاجي، وسأقطع عنقيكما» قال لها تورن مهدداً.

«انا متأكدة انك مضيف رائع».

«كل الماشية هنا من اصل صاف. يجب أن تعلمي ذلك» اجابها وهو يضحك.

«شعرت سابرينا بسعادة غريبة. وازدادت دهشة البرت. لم يسبق له ان رأى اخاه يمزح منذ مدة طويلة...».

«حسناً» قالت له سابرينا «اذا حرمتني من الطعام، فسيعذبك ضميرك بعد موتي» وتظاهرت بالاغماء.

«هيا، تعالي!» قال لها تورن ضاحكاً من جديد «سأطعمك».

وسلك الثلاثة طريق المنزل. واحست سابرينا بفرح

كبير.

سبقهما تورن الى الاسطبل. فالتفت البرت نحوها.

«عادة، هو لا يضمك. هذه اول مرة».

فنظرت سابرينا الى الرجل الذي سبقهما.

«لم اصدق جيس عندما اخبرتني بذلك».

«لقد اختار وحدته بنفسه، على كل حال، لا تشفقي عليه، ولا تثقي بلطفه الظاهر. فعندما لا تحذري منه، سيوقعك في فخه. لقد سبق لي ورأيته يتصرف هكذا، دائماً».

«سابقى متيقظة».

واحست فجأة بالمرح. على كل حال، رغم القلق الذي تعيشه، هذه القصة كلها ليست سوى لعبة.

«اوه، آل، كيف استطعت اكتساب صديقتين عزيزتين مثلك ومثل جسيكا؟».

«انه من حسن حظك» اجابها ضاحكاً.

صعدت سابرينا الى غرفتها وبدلت ملابسها، وارتدت تنورة رمادية كلاسيكية وقميص ابيض. وعندما نزلت، وجدت تورن يحمل كأساً ويدخن سيجارة امام النافذة.

«اين ذهب شورتك الساتان القصير؟».

«لا اريدك ان تصاب بازمة قلبية، سيد الثلاثي الاسم» اجابته بابتسامة ماكرة.

«اعتقد انني قلت لك انني لا احب هذا الاسم، لا تستفزيني اكثر».

«سيد تورن ندون. اتسمح بان تتركني؟».

فتركها رغماً عنه.

«ماذا تشربين؟».

«انا لا اشرب الكحول».

«حتى ولا من باب المجاملة؟».

«معك انت!» سألته بسخرية.

«اعذرني، انا لا احب طعم الكحول».

ظل تورن يتأملها، فابتعدت قليلاً ورمت بنفسها على اقرب كنبة. فاقترب منها ونظر اليها من رأسها حتى اخمص قدميها.

«انا لست مسخاً، انت تعلمين. بكل بساطة، انا لا احب الوصولين».

فرفعت نظرها نحوه. والتقت نظراتهما للحظات "احست خلالها ان الارض تدور حولهما. ورغبت فجأة في ان تلامسها يداه وتضمانها الرغبة القوية في نظراته كانت واضحة جداً.

فقاومت ولكن بدون جدوى، وتذكرت لقاءهما الاول.

انحنى تورن نحوها، وكأنه فهم نداءها الصامت. وداعب عنقها، فارتعشت، كانت يده ناعمة ودافئة.

«انا لا اريد ان اؤذيك» همس تورن وجلس بقربها، فلم تستطع ان ترفع نظرها عن فمه وكأنها ترغب بتقبيله.

«الرغبة تضر احياناً» قال لها بصوت عذب، لانها قوية...

كرغبتي بك سابرينا عندما المسك وعندما ترتجفين. كالان...».

لم تكن الفتاة تتوقع ان يتلفظ بهذه الكلمات بشكل مباشر وخاصة انها لم تكن متأكدة من مشاعرها. ولكن لم يكن يبدو على تورن انه يريد ان يتركها بسلام.

«انت ترغبين بفمي. كما ارغب بفمك» اضاف بهمس.

لم تستطع الاعتراض. وتابع تورن تحسس عنقها وخديها.

«سابرينا. انا لا ارغب بان اقتحم براءتك، واقضي على حذرك. فمي وفمك... جسدي فوق جسدك...».

«ارجوك...» توسلت اليه «انا... انا خطيبة البرت».

فقست ملامح تورن وجذب وجهها نحوه واطبق شفتيه على شفتيها المرتجفتين.

«اذا لماذا تنادين قبلاتي؟».

«اوه! انت فظيع!» ودفعته عنها بقوة حتى وقع على الارض فنهض وابتسم ابتسامة النصر.

«انت تفتنيني، آنسة كان» قال دون ان يبعد نظرة عن وجهها المشتعل.

«انت رقيقة، وبريئة رغم مظهرك المغامر. كيف حدث انك واخي... واخيراً، لماذا، الحب الجسدي يخيفك؟».

تقطعت انفاس الفتاة. واحست بانه سيكتشف خطتها.

«انت رجل وقح».

«ليس كما تتصورين. اذا سمعت كلامي، فأنا...».

من حسن حظها، لم يستطع متابعة كلامه، لان صوت البرت ارتفع من بعيد.

«اين انتما؟» ودخل الى الصالون وقد بدل ملابسه، وكان البرت وسيماً ايضاً، لكنه بجمال اخيه الاكبر. ودهشت سابرينا من هذه المقارنة السخيفة.

«انتما لستما متشابهين» اضافت الفتاة.

«تورن يشبه والدي، وانا اشبه والدتي بشعرها الكستنائي وعيونها الخضراء» اجابها البرت مبتسماً.

- ٩ -

عبس وجه تورن، ووضع كأسه على الطاولة وغادر الغرفة.

«هكذا يتصرف كل مرة الفظ بها اسم والدتي. هيا، تعالي الى غرفة الطعام. انا اموت من الجوع!».

جلسا لتناول الطعام، اضطرت سابرينا لتحمل برودة نظرات تورن.

«كيف اصبحت مغنية روك» سألها تورن اثناء تناول الحلوى. انتفضت عندما سمعت سؤاله المفاجىء.

«بالصدفة، لقد ربحت في مسابقة للهواة. وعملت في ملهى، ولاقيت نجاحاً. والتزمت بعقود متتالية، الى ان دخلت في فرقة حبوب الرمل، ولا نزال نعمل معاً».

«كانت معرفتك بهم مميزة. هذا ما اخبرتني به جيسيكا»

www.elromancia.com

قال البرت.

«بسبب سوء تفاهم بسيط» اجابته ضاحكة.

«في اول لقاء لي معهم، تخاصمت مع ريكي تورز. لكن كان هذا بداية صداقة وتعاون كبيرين. وفي ذلك المساء، حققنا نجاحاً كبيراً ولم نفترق بعده».

اخفت سابرينا قسماً من قصتها، اخفت حبها للاوبرا. وفي تلك الفترة لم تكن تملك المال لمتابعة دروسها في معهد الموسيقى. يجب عليها ان تدفع ايجار سكنها وثمن طعامها كل يوم، ولا يمكنها التوقف عن عملها. والشيك الذي اخذته من تورن. والذي ابكاها بمرارة، لا يمثل شيئاً بالنسبة لها، ولا يكفي لانقاذ سمعة والدتها...

«بماذا تفكرين؟» سألها البرت.

«اوه، عفواً» ورسمت ابتسامة على شفتيها، وتذوقت الحلوى التي اعدها جون، الرجل الوحيد الذي يهتم بهذا المنزل.

وكان تورن يجلس في مقعد الشرف حول الطاولة ولا يبعد نظره عنها. فتذكرت تلك اللذة التي شعرت بها بين ذراعيه في لقائهما الاول. ولكن يجب ان تنتبه. وان لا تنسى بانه عدوها.

«والدتي ايضاً» قاطعه تورن.

«اريد ان اكلمك قليلاً حول موضوع البئر الجديد».

«حقاً ؟ ستكون هذه اول مرة تشركني فيها بهمومك. حتى الان لم تكن تنفذ سوى رأيك انت».

«لقد ان الوقت لكي تشاركني في اتخاذ القرارات بعد

عام ستصبح مديراً لقسم كبير من هذه الاعمال».

«يا الهي! هل انت جاد؟» سأله البرت بسخرية.

«كان يجب ان تعرف ذلك» ونظر الى سابرينا بطرف عينه. ففهمت سابرينا ما يقصده.

«هيا بنا الى المكتب» ثم التفت نحو سابرينا «ستجدين شيئاً تشغلين به نفسك بانتظارنا».

دخل الرجلان الى غرفة المكتب ودخلت سابرينا الى الصالون الثاني. حيث وجدت بيانو كبير جعل قلبها يدق. ولم تستطع مقاومة الجلوس وتلمس ملامسه العاجية، وكانت الفتاة قد تعلمت العزف على البيانو في الملجأ. وبدأت اصابعها الرقيقة بالعزف بصوت منخفض اولاً معزوفة الكونستوار الثانية ل. رانشمنينوف. وكان اللحن ينساب روح الفتاة. وانسجمت الفتاة بالعزف الى ان احست بانها مراقبة، فتوقفت فجأة والتفتت نحو الباب. فوجدت تورن والبرت يقفان يتأملانها.

«تابعي» قال لها تورن بهدوء. ودخل الى الصالون وجلس على الكنبة واشعل سيجارة، ودعا اخاه للجلوس.

اربكها وجود عدوها بقربها، ولكنها اكملت عزفها الى الاخر.

«انت تعزفين بشكل رائع. اين تعلمت العزف؟» قال لها تورن باعجاب.

«صديقة لي علمتني» اجابته بايجاز.

«بامكانك امتهان العزف».

« يا الهي!» قالت بعصبية.

«انه عمل متعب، افضل الغناء» ثم نهضت وجلست قرب البرت.

«اتعزف على البيانو البرت؟».

«انالا، ولكن تورن عازف ماهر».

جحظت عيون الفتاة، وهي تتأمل تورن.

«اهذا يدهشك؟» قال تورن مبتسماً.

«ايه نعم! انا احب الموسيقى... الموسيقى الحقيقية، لا تلك التي تعرفينها في عالمك، تلك ليست سوى ضجيجاً».

فضلت ان لا تجيبه مباشرة. كما فضلت ان لا تستفزه اكثر.

«اذاً ماذا تفعل عندما ترغب بالتسلية؟».

«يذهب الى السينما» قال البرت ضاحكاً.

«سنشاهد الفيديو في غرفة الجلوس، اتأتي معنا، تورن؟».

«لا شكراً، لدي عمل».

نهضت سابرينا وتبعت البرت.

«للحقيقة، البرت، لا ارغب بمشاهدة التلفزيون. افضل الجلوس في الحديقة».

«انتبهي، سابرينا، تورن ليس ساذجاً لهذه الدرجة».

«لا افهم سبب كرهه الشديد لي».

«اعتقد انك تذكرينه بوالدتنا، انكما تملكان نفس الاطباع، لكنكما تختلفان في الشكل. و... تورن لا يعرف ان يعيش مع العواطف... فيحاول ان لا يظهر

عواطفه، انت تعجبينه، هذا واضح، لم يسبق لي ان رأيته هكذا».

«اذاً، من الافضل ان ارحل».

«ليس الان» اجابها البرت ضاحكاً.

«لقد بدأت الامور تصبح شيقة».

«بالنسبة لمن؟ لن تتركني وحدي معه، اليس كذلك؟».

«ايخيفك؟».

«جداً. وارجوك، لاتهزأ مني، انه غاضب مني جداً. على كل حال، لا تقلق، انا وهو نحب التحديات».

«انت رائعة».

«لكنني غبية» اجابته مبتسمة. متى سترى جسيكا؟ لماذا لا تدعوها الى هنا...».

«من الافضل ان نبق على حذر. فاذا لاحظ اننا نشاهد التلفزيون هذا المساء، فهو لن يهتم بنا...».

«فكرة جيدة. ولكن قد يسمع هدير سيارتك وانت خارج».

«لا، لدي موعد مع جسيكا على بعد جمسمائة متر من هنا بعد ساعة».

«واذا قرر اخوك رؤيتنا. واذا سأل عنك؟».

«قولي له انني... في الحمام».

«انت فكرت في كل شيء».

«مع تورن هذا ضروري. سابرينا لا اعرف كيف اشكرك على ما تفعلينه من اجلي» وطبع قبلة على خدها.

بهذه اللحظة دخل تورن. وكان قد بدل ملابسه، ولم

www.elromancia.com

حاول اخفاء غضبه.

«انا ذاهب، سأعود بعد ساعة او بعد ساعتين» وصفق الباب وراءه بشدة.

«كل شيء يسير على مايرام» قا ل لها البرت بحماس.

«انه غاضب لانه بدأ يفهم انني لن اتزوج وريثة مصفاة النفط».

«لا تفرح كثيراً، قد يعود بسرعة».

«لا تقلقي، اجلسي في غرفتك. واذا سأل عني، قولي له انني ذهبت الى المدينة لانني نسيت شيئاً مهماً هناك».

واسرع البرت مغتنماً فرصة غياب اخيه وانطلق بسيارته. وظلت سابرينا تشاهد التلفزيون الى ان شعرت بالملل، فرغبت بتنشق الهواء. فخرجت الى الحديقة، وكان الجو هادئاً. فجلست الفتاة على مقعد هزاز تحت الشرفة تهز نفسها بكل. وشعرت بالنعاس وهي تتأمل النجوم التي بدأت تسطع في السماء المظلمة. وكان كل همها ان لا يلاحظ تورن شيئاً قبل زواج صديقيها وبعد ذلك. لن يستطع ان يفعل شيئاً. وفجأة سمعت هدير سيارة تتوقف امام المنزل، ولم يكن البرت قد عاد حتى الان.

اقترب تورن منها، وكان نور الصالون ينعكس على وجهه.

«ماذا تفعلين هنا وحدك؟ اين البرت».

«لقد اضطر للذهاب الى المدينة... نسي شيئاً هناك».

«ماذا نسي؟».

«لم يقل لي».

«وتركك هنا وحدك، ايها العندليب الصغير، يا له من مغفل! لماذا لم ترافقيه؟».

«خشيت ان اسيء الى سمعة جيرانه» اجابته ضاحكة.

«ماذا! الست خطيبته؟».

«لا يحق لك ابداء هذه الملاحظة، الم تمنعنا من مشاركة نفس الغرفة؟».

«انا رجل رجعي».

«ولكن سمعت انك كثير المغامرات» وحاولت ان تخفي خوفها منه.

«الامر مختلف بالنسبة لعائلتي انا احاول حمايتها».

«الهذا السبب تمنعني من الدخول في عائلتك؟».

«السؤال لم يطرح نفسه بعد، لن ادع البرت يتزوج من...».

انتبه لما تقوله. لن اتردد في صفعك من جديد اذا اهنتني. انت لا تعرف شيئاً عني».

«ماذا تجين في اخي؟» سألها وهو يتأملها بنظرات غريبة انتقضت الفتاة، وتفاجأت بنظراته.

«انه لطيف».

«هل اخيفك؟» سألها بهمس عندما لاحظ انها ترتجف.

«نعم» «لماذا؟».

ابتسمت الفتاة رغماً عنها. وكانت انفعالاتها امام تورن غريبة عنها. كلما اقترب منها تشعر بالدم يغلي في عروقها، وتخاف من كل شيء.

«لست ادري. اتكون انت مجرم محترف؟».

«انا لا احب ان تكلميني بهذه الطريقة. انا لست معتاداً ان احوم حول النساء الذكيات».

«ولا حول احد. سيدي البربري. لانني متأكدة انك تلتقي في مهنتك بأناس كثيرين».

- ١٠ -

هذا هو نفس انطباعي عنك». قال وهو يستند على جذع الشجرة.

«من المؤسف اصرارك على حمل اسم البرت. بالنسبة للمال الذي تطمعين به، بامكاننا ان نتناقش بهدوء».

«انت مغرم بالنساء الرخيصات، ما الذي يعجبك بهن؟». سألته بسخرية.

«انهن لا تطالبن بمكان في حياة الرجل. وهن لا يزعجنني في حياتي». اجابها بهدوء. ثم التقت نظراتهما، وادركت سابرينا انها اخطأت بالحكم عليه، لقد اكتشفت في مقلتيه رجلاً محترماً ومتسامحاً وحنوناً. . . .

«انا. . .» قالت سابرينا لتقطع الصمت الذي حل بينهما «انا لا احب. . . .».

www.elromancia.com

«كم عمرك، سابرينا».

«ثلاثة وعشرون عاما. كبيرة كفاية لاكون ابنتك. اذا كنت تنوي ان تقدم لي نصائح ابوية».

«هذه الفكرة بعيدة جداً عني. لابد ان البرت اخبرك بأنني اشبه والدنا».

«اخبرني القليل فقط».

«كان رجلاً قاسياً. وأي دليل على الحب كان يعتبره ضعفاً. انا افهم والدتي قليلاً. كانا مختلفين. ولكن هذا لا يعذر موقفها منه ولولا ذلك لكان الآن لا يزال حياً».

تذكرت سابرينا ماضيها. حزن هذه السيدة يشبه حزن والدتها عندما كان الرجال يتخلون عنها، وخاصة في الليلة الاخيرة.

«وانت، سابرينا. كيف كانت والدتك؟».

«قريبة من والدتك. لا احب الحديث عنها».

«هل الذنب ذنبها اذا كان الرجال...».

«ماذا! لن تتكلم من جديد عن... عدم خبرتي؟ حسناً، انا لا احب ان اعيش كالـ...».

«كيف تشعرين بين ذراعي البرت؟ كما تشعرين معي؟».

هذا السؤال جعلها تتجمد. اية كذبة ستخترع له؟ لكن تورن لم يترك لها مجالاً للتفكير، لانه رمى سيجارته وضم الفتاة بين ذراعيه، واجبرها على النهوض.

«لا، تورن، ارجوك».

«احب سماعك وانت تلفظين اسمي، وكأنه نداء قوي».

قاومته الفتاة كما قاومت نفسها لكي لا ترتمي على ذلك الجسد الذي يجذبها بقوة.

«ليس الامر كذلك مع البرت». قالت اخيراً ووضعت يديها على صدره لتدفعه عنها.

«اتعتقدين انني لم اكن اعلم؟» همس بصوت دافىء.

«اوه سابرينا! انا ارغب بك بقوة».

وكانت مقلتيه تلمع بالرغبة، ودقات قلبه سريعة احست بها الفتاة تحت يديها. وكانت نظراتهما معبرة اكثر من الكلام. ففهمت سابرينا انها هي ايضاً ترغب به وتبحث عن دفىء جسده وقوته. وبحركة يائسة لكنها ارادية، رفعت وجهها نحوه وقدمت له شفتيها.

قبل تورن جبينها وخدها، وكان فمه دافئاً على جلدها الحريري فبدأت ترتجف وأحاطت عنقه بيديها.

ايقبلك البرت هكذا... هكذا...؟».

انا ايضاً... انا رجعية... لم يسبق...».

وكان يقبل عنقها وخلف اذنيها بحرارة. وكانت ترتعش تحت لمسات يديه الرائعة.

«سابرينا، لم يسبق لي ان ضممت بين ذراعي امرأة مثلك... ابداً...».

واطبق فمه على فم الفتاة يقطف اولى تنهداتها وكان يشعر بها مليئة بالرغبة وترتجف وتلتصق بصدره وتتحرق تحت اقل لمسة منه دست يديها تحت قميصه. واكتشفت ببطء بأصابعها جسده الدافىء. وغرقت مقلتيها في مقلتي تورن التي تعبر عن الم كما تعبر عن الرغبة.

وبهدوء تناول فمها من جديد والتهمه بقبلة مليئة بالانفعال. كان رقيقاً وصبوراً بشكل لم تكن تعلم بأية حجة كانت ستقاومه. كان يلهب مشاعرها دون ان يخيفها. وكانت تشعر بخفة بين ذراعيه وبسعادة كبيرة.

هل هذه التنهدات التي تخرج من حنجرتها. من اعماق كيانها. هي تصدر عنها؟ لم تعد تعرف نفسها. وبرغبة قوية، التصقت به اكثر. حتى اصبحا كالجسد الواحد.

واخيراً ابعد تورن وجهه عن وجهها وكان فمه ومقلتيه تظهران رغبته المتزايدة، واخذ يداعب فمها بيده المرتجفة. هذه الفتاة المغامرة تمثل سراً كبيراً لا يستطيع اكتشافه.

«ارجوك». توسلت اليه وتلألأت مقلتيها بالدموع «انا... لم يسبق لي ان...».

وكانت تتوسل اليه كي يتابع وليس كي يتوقف.

«اعلم». اجابها بحدة... اعلم، اسكتي...».

ودس يديه تحت قميصها برقة وحنان. ارتبكت الفتاة واخذت ترتجف بقوة بين ذراعيه، وخافت من خضوعها له ولرغباتها. ولشدة انفعاله. اخذ تورن يهمس باذنيها باجمل الكلمات.

وكانت الفتاة على وشك الانهيار. كل لمسة منه تزيد في اشتعال عاطفتها. ولم تعد قادرة على التفكير.

«تورن... اوه... تورن».

فعاد الى فمها يرشف من عسله ويشرب خمره. وعرفت سابرينا بين ذراعيه لذة لا تعرف حدوداً. ونسيت كل تحفظاتها وخجلها.

وسمعا من بعيد هدير سيارة ابعدهما عن بعض. فتأملها تورن طويلاً، وادرك عطشها له. انه عطش متبادل.

«ها قد وصل البرت». واخذ نفساً عميقاً لكنه لم يتركها، لانه كان يخشى ان تقع اذا تركها.

«اوه سابرينا. انت رائعة. ولكنك له هو». ثم تركها بسرعة وركض الى المنزل دون ان يضيف كلمة اخرى. اقتربت انوار مصابيح سيارة البرت.

وكانت سابرينا لا تزال وحدها، فأحست بأنها لا تملك القوة على مواجهة احد. فركضت الى المنزل وجلست في الصالون وادارت التليفزيون ريثما تلتقط انفاسها قبل دخول البرت.

«هل حصل كل شيء على ما يرام؟». سألها وهو يدس رأسه في فتحة الباب.

«لقد عاد بسرعة. وقلت له انك ذهبت الى المدينة».

«ولم يشك بشيء؟ لا توجد مشاكل جديدة؟».

«لا»، اجابته دون ان تجرؤ على النظر في مقلتيه.

«تصبح على خير، البرت، الى اللقاء غداً صباحاً». ومرت امامه واتجهت الى غرفتها.

لكن البرت لشدة سعادته بلقاء جيسيكا، لم يلاحظ مدى ارتباك صديقته. وفي غرفتها، تساءلت مئات الاسئلة.

كيف استطاع تورن ان يفقدها عقلها بهذه السهولة؟ لو لم يأت البرت... اوه وكانت تفضل ان لا تفكر بذلك.

وكان جسدها لا يزال يرتجف من الاحساس الذي ولده تورن في كيانها. وسالت الدموع على وجهها بغزارة.

«اوه جيسيكا. لو تعلمين كم اتعذب من اجل مساعدتك!».

كانت تخاف من رغبتها الشخصية اكثر من خوفها من تورن.

في صباح اليوم التالي، ارتدت بنطلون رمادي مخمل وكنزة حمراء ونزلت وهي تتمنى ان تجد البرت. لكنها وجدت تورن وحده، وكان يجلس في مكان الشرف حول الطاولة، ويلعب بمنديل ورقي بعصبية وكأنه كان بانتظارها. وكان قميصه مفتوحاً على صدره، فذكر الفتاة بالأمها، وتمنت الهرب منه بسرعة.

«تفضلي بالجلوس، ايها العندليب الصغير. جون يعد لنا الفطور».

اصبح من المستحيل الهرب، فجلست وناولها تورن فنجان القهوة.

«ليس هذا جيداً بالنسبة لألبرت» قال لها فجأة.

«عن ماذا تتكلم؟؟».

«عن خاتمك هذا». واشار الى يدها.

«لا يجب ان تضعي خاتماً كهذا عندما ترغبين برجل آخر، كما كنت ترغبين بي».

«انا لم...».

«لا فائدة من الكذب». قال وهو يضع اصبعه على فمها.

«بعد لحظات كنت سأصطحبك الى غرفتي».

«دعني بسلام، تورن» صرخت بحدة.

«بالتأكيد لا». واشعل سيجارة واخذ يتأملها.

«انت لم تأخذي تحذيراتي على محمل الجد. وها انت تتلقين النتائج».

«ما سيكون عقابي؟ ليلة في سريرك؟» سألته بتعال.

«هذا لا يعجبني كثيراً». اجابها بابتسامة عندما رأى احمرار وجهها.

«لم ارغب بامرأة بهذه القوة منذ فترة طويلة».

«انا لست كما تعتقد!».

«انا اعلم. لكنك انت تعقدين الموقف. من اين اتيت. سابرينا؟».

«من نيو اورلينز، لماذا؟».

«كيف التقيت بالبرت». وشرب جرعة من فنجانه.

«عن طريق جيسيكا».

«انها فتاة جيدة جيسيكا... اتعلمين انها تحب اخي؟» سألها مبتسماً. احمر وجه سابرينا. وتركت فنجانها كي لا يقع من يدها.

«يبدو لي انك كنت تعلمين. الا يشعرك هذا بالخجل؟».

«لم اكن اعتقد انك مهتم بسكرتيرات الشركة».

«انا لست غبياً، ايتها العندليب الصغير».

«لا، ولكن انت صاحب احكام قاسية، ايها السيد الثلاثي الاسم».

«خاصة عندما التقي بنساء لم تخلقن من اجل انجاب الاولاد» اجابها باحتقار.

www.elromancia.com

«اهذا كل ما يهمك» سألته وقد صدمها كلامه كثيراً.

«انت تعتبر الناس كالمواشي، الا وجود للبشر في نظرك».

«على كل حال، انت لا تعتبرين كذلك، يا جميلتي جسدياً ممكن، اما غير ذلك، فلا».

«فليحمني الله» اجابته بغضب والالم يعصر قلبها. لمعت مقلتي تورن ببريق غريب، ولكن قبل ان يتمكن من الكلام، دخل البرت، وانضم اليهما.

«صباح الخير، هل اصبح الفطور جاهزاً» قال البرت بإشراق.

«جون!» صرخ تورن بغضب لا مبرر له.

«السيد الكبير جائع، وكذلك الآخرون». تمتمت سابرينا.

«اسكتي انت»، قال لها تورن مهددا.

«الا تزالان تتناقشان، انتما الاثنان؟» سألها البرت.

«ستكونان زوجة اخ وابن عم».

فرمقه تورن بنظرات قاتلة.

«لم يحن الوقت بعد. لا تكن مستعجلاً، يا اخي، انت لا تزال صغيراً».

«وانت ايضاً، ماذا تنتظر». سأله البرت بقوة جديدة.

«اتذكر تلك الفتاة الشقراء التي كنت تتمنى الزواج بها، والتي من اجلها هددك والدي بحرمانك من الميراث؟ ولا ازال انا اذكر كيف حاولت اللحاق بها، كان والدي تبعك وهددكما بأنه لن يكون لك مليم واحد اذا تزوجتها، ودفع

لها والدي مبلغاً لكي تتعقل... فقبلت... مسكين انت، يا اخي، لقد ظهرت خطيبتك على حقيقتها بسرعة. وانت تخاف ان اكون انا اعمى مثلما كنت انت».

«اذهب الى الجحيم». صرخ تورن ثم نهض وغادر الغرفة.

«هذا فظيع!» قالت سابرينا بذهول وانقبض قلبها عندما فكرت بالعذاب الذي عاشه تورن.

«اردت ان يكون هذا درساً له. ليس لان امرأة خانته، يجب عليه ان يفسد حياة الآخرين. هيا بنا نتناول فطورنا. وسأدعوك للقيام بجولة على صهوة الجواد. فأنا لم ارك كثيراً مساء امس، وسأضطر اليوم ايضاً للتغيب لكي اذهب سراً لاحضار اجازة زواجي».

وخيلا قليلا حول المزرعة. وعند احد المفترقات تركها البرت واتفقا على قصة يقولانها لتورن اذا شعر بغياب اخيه.

وفضلت سابرينا ان تنتظره قرب النهر كي لا تعود وحدها.

فنزلت عن حصانها وسارت على ضفة النهر. وفجأة رأت آثار اقدام غزال وتعرفت على ذلك بفضل المعلومات التي كسبتها من جدها عن تقفي آثار الحيوانات البرية.

«هل اضعت الطريق، يا ابنة المدن؟». سألها صوت مألوف ساخر، فالتفتت باتجاه الصوت. وكانت دهشتها كبيرة عندما رأت تورن يقف قرب جوارها ويتأملها.

«لا ابداً، كنت اقتفي اثر غزال».

www.elromancia.com

انضم اليها وانحنى يتفحص الآثار.

«انهما غزالان». قالت له وهي تسير الى الأثار «هذه خطوات الانثى، وتلك خطوات الذكر».

«من علمك كل هذا».

«جدي، لقد قام على تربيتي لمدة قصيرة. وكان كل شيء بالنسبة لي».

«ماذا علمك ايضاً؟».

«اشياء كثيرة ليست مهمة، كالتنبؤ بالمطر، وزراعة الخضار، كان مزارعاً».

نهض تورن وتأمل وجه الفتاة بدهشة.

«انت تقلقينني».

«لماذا؟؟» سألته ضاحكة بجفاف.

«الانني اعرف تميز اثر غزال؟».

«لانك لا تشبهين احداً ممن اعرفهم. لانني اشتعل من الرغبة بك. بامكاني ان اكرهك لهذا الضعف الذي اشعر به امامك».

«ولا انا، سيد تورندون. لم التق برجل مثلك: اقصد... الآخرون كلهم تصنع وكذب، اما انت... فصلب، صادق... وعميق، هذا ما كنت اقصده عندما قلت لك انني اتمنى ان اكسبك صديقاً».

«عشيقاً، هذا ما كان يجب ان تقوليه!» اجابها بضحكة ساخرة.

«كنا سنكون عشيقين لولا وجود البرت».

«لا اعتقد ذلك، فأنا اخاف منك، ولا احب طريقتك

التي تستعملها مع الآخرين. لن يمكنني تحمل فكرة ان اكون... لعبتك، قد تكون النساء ترغبن بأن يمتلكهن الرجل، ولكن لا ان يشترين».

«لا يوجد فرق كبير!».

«بلى، انه فرق مهم». ونظرت الى التلال القريبة. «المنطقة هذه جميلة جداً، كيف يمكنك تحمل نيو اورليتز بعد ان تأتي الى هنا؟».

«انا اتحمل... اشياء كثيرة».

فسارت نحو حصانها، لكن تورن استوقفها.

«ولكن اين اخي؟».

«ذهب لاحضار فرسه، سيعود بعد قليل».

«هذا ليس ضرورياً. سابرينا قبليني» وضمها اليه.

«قبليني، انا اموت من الرغبة بامتلاكك. انا اتعذب... قبليني».

وتناول شفتيها بحرارة.

تفاجأت الفتاة بعدم رغبتها بمقاومته. انه حلم رائع قطع مساء امس وها هو يعود من جديد وفجأة عاد اليها وعيها، فحاولت الابتعاد عنه، لكنه ضمها اليه اكثر ودعاها للمساته الرائعة.

اغمضت عينيها وبادلته القبلات الحارة، وتحسست كتفيه وظهره. فتح تورن عينيه تأمل وجهها ولاحظ مدى سعادتها. اشتعلت عواطفه اكثر، واصبحت لمساته على جسدها اكثر جرأة. وسابرينا وهي في غمرة انفعالها رددت اسمه بهمس، ودست يديها تحت قميصه تداعب صدره.

www.elromancia.com

فتنهد بلذة قريبة من الالم، ثم ضحك.

«انت تحرقيني، سابرينا، ان المسك... واضمك بين ذراعي... لم اشعر بمثل هذا الاحساس في حياتي كلها».

امتزج قلبها بالفرح والقلق. كان الريف هادئا، ولم يعد البرت باكراً. فتنهدت وعادت تبحث عن شفتيه لتروي ظمأها. فضمها اليه اكثر.

وقبلها بحنان كبير، فأحست بأنه جزءا منها وبأنها جزء منه.

«انا لم امارس الحب واقفا من قبل». همس بأذنها.

«ارغب بالجلوس» فانتفضت بخوف، وابتسم لها تورن بحب.

«اريدك سابرينا، والا سأفقد عقلي...».

اعتقد الفتاة انها ستجن من السعادة التي اجتاحتها. وزادت كلمات تورن في رغبتها. وفجأة تذكرت تحذيرات البرت. وتذكرت تلك المرأة التي خانت تورن... وببطء وبيد مرتجفة داعبت فمه بحنان.

«انها كانت مجنونة تماماً». قالت له.

«كانت مجنونة عندما قبلت بالمال وتخلت عنك».

هذه الكلمات اغضبت تورن كثيرا، فأمسك شعر الفتاة وارجع رأسها الى الخلف.

«على الاقل، لم تحاول ان تلعب دور الحمل الوديع والذئب بنفس الوقت».

شعرت سابرينا بالإهانة. وتبدد كل ما نشأ بينهما

بسرعة.

«انت تؤلمني».

وفوراً تركها، وبصعوبة كبيرة ابعدت يديها عنه. انه يعرف كيف يسيطر على مشاعرها، فكرت الفتاة وهي تنظر اليه يشعل سيجارة.

عندما رفع نظره نحوها لم تجد في مقلتيه سوى الاحتقار والتحدي.

«انا احضر لك مفاجأة صغيرة، ايتها العندليب الصغيرة، بعد يوم او يومين يكتمل السيناريو».

«كم هذا مثير! لا يمكنني الصبر اكثر». اجابته بجفاف.

«هل البرت على علم بذلك؟».

«لا اريد ان اجر اكثر، يكفي انك بتصرفك معي، تحضرين له لحظات فظيعة».

كيف سيمكنها ان تشرح له بأن هذه الخطوبة مزيفة. كيف يمكنها ان تشرح له انها رمت كل سلاحها امامه؟ انها تحبه، وترغب به، وتحتاج اليه؟؟ ايمكنها الاعتراف بسرعة ودون خوف من النتيجة؟ بالنسبة لرجل متكبر فظ مثله! واخيراً! لكي تكون صادقة مع نفسها، يجب ان نعترف بأن عدة وجوه. انها ترغب به كثيراً، وافضل شيء تفعله الآن ان تهرب من امامه.

«سأتركك الآن، سيد الثلاثي الاسم». قالت وهي تمتطي جوادها.

«سأذهب للانضمام الى البرت».

«استغلي وجودك معه الآن» اجابها وهو يمتطي جواده

www.elromancia.com

بدوره.

«لن تستمري معه طويلاً».

«كيف كان والدك» سألته فجأة.

«مثلي انا، لماذا؟».

«لقد فهمت الآن موقف والدتك». اجابته بحزن.

«كم تعذبت بعد وفاته».

«لا تتكلمي بما لا تعرفينه. الذنب كله كان ذنبها».

«لقد كلمني البرت عن والديكما. اذا كان والدك كما اتخيله، انا متأكدة انها لا تزال تبحث عن رجل بمستواه. وانا متأكدة انها لن تجد تصور مدى حزنها ووحدتها».

«لم يكن هناك ما يقلقها. كان من الممكن ان يكون حياً الآن لو لم تحاول استفزازه». اجابها بحدة وقد بدأ يفقد صبره.

«يوجد اناس يجعلون الحياة مستحيلة بالنسبة للآخرين، وذلك برفضهم اظهار حبهم. انا اعتقد انها كانت تريد فقط ان يفهمها ويهتم بها اكثر. بعد الذي حصل، تصور مدى احساسها بالذنب كيف يمكنها ان تنساه؟».

«يبدو انك على معرفة في بعض الامور» اجابها بسخرية.

دون ان تضيف اية كلمة، سلكت سابرينا اتجاه الطريق حيث ينتظرها البرت. انها تحب تورن حبا لا امل منه. وهي تعلم انه يرغب بها كما ترغب به، وخلف قناعه البارد، تعرفت على رجل يمكنها ان تحبه وتتمنى العيش معه. لكن القدر القاسي اراد ان يكونا عدوين.

وعندما وصل البرت حملها ورقص بها من الفرح، واخبرها انه حصل على اجازة الزواج وانه سيتزوج من جيسيكا بعد ايام قليلة.

في المساء، احست سابرينا بآلام الغيرة عندما رأت تورن يخرج في ملابس السهرة. وتخيلته يضم بين ذراعيه فتاة جميلة كتلك التي كانت معه في حفلة البرت.

«كل النساء تمر بين ذراعيه دون ان تؤثر به» قال لها البرت.

«ويقول بأنه لا يمكن لاحداهن ان توقعه في شباكها».

«لابد ان لديه اسبابه الخاصة. ايمكنني ان اعزف على البيانو؟؟»«بالتأكيد، وسأغتنم فرصة غيابه واذهب لرؤية جيسيكا».

في اليوم التالي، عندما نزلت من غرفتها لم تجد في غرفة الطعام غير البرت وكان يبدو قلقاً.

(تورن سيقيم حفلة مساء يوم السبت، ولقد دعا جيسيكا».

«اوه... اتظن بأنه يشك بشيء» سألته بقلق.

«لست ادري. يدعي ان هذه الحفلة لاعلان خطوبتنا. لكنه اعد لكل شيء بسرعة، ودعا بعض الاصدقاء بالهاتف. هذا ليس من عادته... اشعر بقلق كبير». ثم نظر الى صديقته باشفاق.

«قولي لي، سابرينا... ايوجد في ماضيك شيء...».

«لا، ليس بالشيء المهم...» اجابته بصوت مرتجف «لماذا؟».

«كان تورن بمزاج رائع هذا اليوم، وهذا ما يقلقني».

«قد يكون مضى مساء امس سهرة ممتعة».

جاء قبل الظهر بائع العلف، فرافقه البرت الى المدينة. وكان تورن في مكتبه. فقررت سابرينا القيام بجولة في الغابة القريبة من المزرعة. فارتدت بنطلون جينز وقميص قطني وتركت شعرها مسترسلاً على كتفيها. وبعد ان سارت طويلا، جلست تستريح تحت سنديانة كبيرة.

«انت تشبهين آلهة الغابة».

انتفضت الفتاة والتفتت خلفها، فرأت تورن يقف ويتأملها.

«لماذا لست مع خطيبك؟».

«لقد ذهب لقضاء بعض اعماله. ولا ارغب بالتدخل بشؤونه» استند تورن على جذع الشجرة، وكتف ذراعيه.

«افسخي خطوبتك به» امرها بحزم.

«لا استطيع».

«انها الفرصة الاخيرة التي امنحك اياها اغتنميها».

«اهذا تهديد؟ سألته وهي تضحك بسخرية.

«بل اكثر من ذلك». وتأملها وكأنه يراها للمرة الأولى.

«انت وحيدة، سابرينا. ولو لم تثبتي لي مال البرت هو كل ما يهمك، لسامحتك. ولكن للاسف، لا يمكنني ان اترك اخي يرتكب خطأ كبيراً بالزواج منك».

«هل ستقضي كل حياتك بتدمير حياة الآخرين؟» سألته بحدة.

«ألم في الرابعة والعشرين من عمره وقادر على تحمل

مسؤولية اعماله. لو لم تكن دائماً خلفه...».

«اسمعي. انا اعرف ماذا افعل». قاطعها واشعل سيجارة. لقد قضيت عمري وانا احافظ على اعمال العائلة، ولا ارغب في ان يفسد اخي ما حققته لهذه الشركة». ثم سكت قليلاً، ولاحظت الفتاة الحزن على وجهه.

«كان البرت صغيراً عندما توفي والدكما، ولهذا تحملت انت كل المسؤوليات».

«بامكاني مواجهة كل مسؤولياتي دون ان تكسرني».

«من يستطيع ان يكسرك! انا افهمك وانت تعرف ذلك».

«لا اشك بذلك». اجابها وهو ينظر اليها بقسوة.

«وانت ايضاً لم تكن حياتك سهلة حتى الآن».

لا، لا يمكنه ان يعرف شيئاً عنها...

«كم كان عدد الشبان في حياتك؟».

«للحقيقة، لا احد». وهزت كتفيها.

«لم يكن لدي الوقت للمغامرات، فأنا اعمل بدون توقف».

«اوه! مثلي تماماً!».

«لا، انت غني، وانا كنت اعمل اولاً في قطع تذاكر السينما، ثم عملت كبائعة للازهار، ثم بعت السجائر في احد المطاعم. لم يكن لدي احد يدافع عني في وجه الظروف القاسية. ولم اطلب مساعدة احد. تعلمت التصرف والدفاع عن نفسي».

اخذ تورن نفساً عميقاً من سيجارته ثم داس برجله.

www.elromancia.com

«ثم تعبت من كل هذا، وقررت الزواج من البرت مع انك لا تحبينه؟؟».

«من يسمح لك...».

«هذا واضح. انتما لا تشعران برغبة الواحد تجاه الآخر هذا اقل ما يقال عنكما». ثم اقترب منها، فتراجعت بسرعة.

«انا لااحب اظهار عواطفي نحوه امام الناس».

«وعندما تكونان وحيدين؟ واذا اخذتك الآن بين ذراعي، ماذا ستفعلين؟».

ونفذ القول بالفعل «ارجوك». توسلت اليه بيأس.

«وانا مثلك، سابرينا، عندما اضمك بين ذراعي، افقد صوابي. الا تلاحظين ذلك؟ اوه يا الهي، انا لا اتحمل ما تفعلينه بي!».

ارتعشت الفتاة من الخوف والاثارة ايعرف انها ترغب به؟ ايعرف ما تشعر به عندما يلمسها؟ فانقبض قلبها. بعد ايام، لن ترى تورن من جديد، بعد زواج البرت من جيسيكا، سيعود كل شيء لسابق عهده. سينساها تورن، فنظرت الى عينيه بنظرات ملؤها الحب.

«سابرينا، افسخي خطوبتك مع البرت طالما ان الاوان لم يفت بعد. لا ترغميني على ايذائك. هذه الفكرة لا تعجبني ابدا، لكن يجب علي حماية البرت».

بدون وعي منها، رفعت يدها وداعبت وجهه وتلمست جفنيه، فاخفضهما تحت لمسة يدها. ولم يتحرك وتركها تداعب وجهه. وكأنها تريد ان تحتفظ بكل تفاصيل هذا

الوجه الذي تحبه كثيرا.

تسارعت انفاس تورن، وارتجفت شفاهه، فأمسك وجهها بين ذراعيه، ووقفت الفتاة على رؤوس اصابع قدميها لتطال فمه، لكنه لم يحاول تناول شفتيها.

«تورن... ارجوك...».

«ولكن، ماذا تريدين مني، سابرينا».

«لحظة سعادة، ذكرى...».

فتأمل مقلتيها المدمعة، وحملها وقرب فمه من فمها.

«ذكرى، لحظة من السعادة...؟ بامكاني ان امنحك منها بدون حساب. فقط لو كانت الظروف مختلفة».

فخبأت وجهها في عنقه، لتخفي دموعها.

«انا ارغب بك». اعترفت له بصوت يدل على مدى المها.

«ترغبين بي؟ والبرت؟» واجبرها على النظر اليه. فكانت على وشك الاعتراف له بكل شيء. ولكنها لم تجرؤ.

فحملها تورن ومددها على اوراق الشجر المتساقطة وتمدد قربها.

«اذا كنت تحبين المال، ايتها العندليب الصغير، فكان يجب ان ترمي شباكك حولي انا. انا اكثر ثراء من البرت».

«المال لا يهمني».

«ولا الحب ايضاً». اجابها وجذبها اليه، والهبها بقبلات حارة وداعب عنقها وصدرها وهو يلهث من شدة رغبته بها.

«انت جميلة جداً ورائعة لدرجة تقطع الانفاس، لدرجة تجعلينني مجنونا. انت هنا، وانا لا ارغب من الحياة سوى

تذوق طعمك» وعاد يستكشف جسدها المثير. اغمضت الفتاة مقلتيها عندما قبلها بكل حب وحرارة.

ولكن ظمأها لم يرتو، وبدأت تتنهد من السعادة واشتعل كيان الفتاة بالحب الكبير لم تكن تتخيل ان تعيش مثل هذه اللحظات. فأمسكت وجه تورن بين يديها المرتجفتين. هذا كثير لم تعد تعرف شيئاً آخر. ماذا تفعل الى اين تتجه. فحاولت اخفاء وجهها بيديها.

«لا تخجلي» قال لها وهو يتنهد «ان سعادتنا متبادلة».

وعادت شفاهه تتبع طريق يديه. وغطاها بحنانه المشتعل.

«يا الهي! كم ارغب بك» همس تورن «لا نحن... نحن... لا يجب ان...» قالت له متلعثمة.

«حتى ولو اردت الابتعاد عني، فجسدك واحاسيسك لن تطيعك كل خلية في جسدك تناديني، كيف تريدينني ان اقاوم؟».

«نعم، انا اريدك...».

فقاطعها بقبلة حارة، فأحست بأنها ستختنق من لذتها. تورن يعرف كيف يثيرها وكيف يملي عليها حركات الحب التي لم يسبق ان قامت بها.

«انك تتعلمين الحب. فقدان السيطرة على النفس، والخضوع هو اقصى مراحل الحب».

بالفعل كانت تحبه وتحتاج اليه وتريد ان تتعلم كيف تهبه السعادة تأملها تورن قليلاً ثم جلس، وكان يرتجف مثلها. فضمها اليه ولكن بحنان هادىء وابتسم:

«انا لست شريفا...».

«تورن، ارجوك... لا تتوقف».

«انت لست مستعدة لان تعيشي مغامرة عابرة». وغطى جسدها بقميصه.

«حتى ولو كنت قادرة على الاستسلام بهذه اللحظة».

«شكراً» شكرته لانه فهمها.

«والآن، سابرينا، قولي لي انك لن تتزوجي البرت».

اذاً، كان هذا هو هدف لمساته وقبلاته الوحيد، ان يقنعها بفسخ خطوبتها.

«لا سبيل لذلك».

فغضب تورن ورمقها بنظرة كره واحتقار.

«لديك مهلة حتى مساء غد لكي تعيدي اليه خاتمه. واذا لم تفعلي...».

«انا آسفة، هذا مستحيل». اجابته بصوت منخفض وكان قلبها يتمزق من الالم، نهض تورن بسرعة، ورتب ملابسه.

«لم اكن اعلم انه يوجد نساء مرتزقات مثلك! الا تشعرين بالاسف والعار؟».

«وانا لم اكن اعتقد انك رجل قادر على اغراء امرأة فقط من اجل...».

«ايصدمك هذا؟ انت تدهشينني. كنت اتمنى ان استطيع اقناعك بالانسحاب من اللعبة. انا بدون شفقة ولا رحمة، حتى انني كنت مستعداً لادفع لك الثمن الذي كنت تريدينه. وانت تعرفين ثمنك»، شحب لون سابرينا بعد هذه

www.elromancia.com

الاهانة. هل هو يعلم؟.

«اتوقع دائما للنساء ثمن ما يمنحونك اياه؟».

«نعم، خاتم الماس، معطف فرو».

ازداد شحوب سابرينا، وتذكرت والدتها وهي تفارق الحياة.

«اذهب الى الجحيم، الى الجحيم، الى الجحيم...» صرخت بيأس، وشعرت بكره كبير له لانه يشبه كل الرجال. واجهشت بالبكاء وركضت مسرعة.

«سابرينا انتظري!».

لكنها لم تستمع له واستمرت بالركض والدموع تسيل بغزارة على وجهها.

حاولت الفتاة ان تكتم حزنها، اوه! تورن، لماذا كان يجب ان نلتق بمثل هذه الظروف؟ ان رغباتهما متبادلة، وكلماتها الأولى التي تبادلاها كانت رائعة. لقد قال لها انه قادر على منحها لحظات كثيرة من السعادة، فقط لو كانت الظروف مختلفة...

اوه! ماذا سينفعها البكاء؟ تورن يكرهها لانه يعتقد انها مغامرة بدون قلب وبدون شرف، ولكنه مع ذلك يرغب بها كثيراً. انه مخطىء. وبعد يومين ستخرج نهائياً من حياته ولن يبق لهما سوى الذكرى.

في صباح اليوم التالي، حدثهما تورن عن السهرة هذا المساء، وطريقة كلامه جعلت الفتاة ترتعش من الخوف.

«ستكون هذه سهرة على مستوى رفيع» قال لها تورن بتحد.

«لا تخشى شيئاً. لن ادعك تشعر بالعار، لدي ثوب رائع» اجابته دون ان تجرء على النظر الى عيونه.

«انت لا تشعريننا ابداً بالخجل، سابرينا» قال البرت ثم التفت نحو اخيه.

«تبدو سعيداً جداً، اليوم، تورن، الديك سبب خاص؟».

«لدي بعض الاوراق في يدي» اجابه ضاحكاً ونهض ذهب البرت وسابرينا الى المدينة ليزورا جسيكا.

«انا خائفة سابرينا، اذا كان تورن قد اكتشف شيئاً فنحن لن نتزوج بعد غد» قالت لها جيسيكا.

«لا تقلقي» طمأنتها سابرينا.

«لن يشك بشيء».

«انا اصدقك، ولكنك انت من يتحمل الكثير من المخاطر».

«تورن لم يكن قاسياً معها» قال البرت الذي كان يجهل اشياء كثيرة. ولكن جيسيكا لاحظت حزن صديقتها، فاغتنمت فرصة دخول البرت الى الحمام، وسألتها:

«سابرينا. هل اساء اليك؟ انا لا اريدك ان تتعذبي بسببنا».

«انا احبه، جيس».

«ماذا؟».

«انا احبه، ماذا يجب ان افعل الان؟ هذا اول حب في حياتي، لكنه يعتبرني مخادعة، له، جيس!» واخفت وجهها بيديها.

«واذ عرف حقيقتي، سيزداد احتقاره لي . . .».

«لا تتفوهي بالحماقات، سابرينا، انت افضل منه بكثير».

«ليس في نظره!».

«اوه! سابرينا، اشعر بالذنب!».

«سأتصرف» قالت لها سابرينا وهي تمسك يدها، بعد يومين، سينتهي كل شيء، وقد استطيع نسيانه . . .».

«وهو؟ ما هو شعورة نحوك؟».

«انه يرغب بي كثيراً . . . ها قد جاء البرت، لا تقولي له شيئاً لا اريده ان يعرف حقيقة مشاعري نحو اخيه».

حل المساء، وامتلا منزل تورندون بالضيوف الانيقين . . . فبدا لسابرينا ان ثوبها حقير جداً. لا بد ان تورن استقبلها بابتسامة ساخرة، وعاد للاهتمام بضيوفه، وظلت سابرينا مع البرت وجيسيكا.

«آنسة كان؟».

تفاجأت سابرينا عندما سمعت تورن يناديها. وبنفس اللحظة سكنت الموسيقى والتفت الجميع نحوها، فشعرت وكأنها مجرم وقع في قبضة العدالة، ومع ذلك رفعت رأسها، وسارت نحو مضيفها، وكان ينظر اليها نظرات تحد كبير.

«لقد قلت انك تملكين موهبة الغناء، ايمكنك ان تسمعينا شيئاً؟».

«بكل سرور» وابتسمت له محاولة اخفاء ارتباكها، واتجهت نحو الاوركسترا، وتوقفت امام عازف البيانو.

وكان تورن ينتظر منها ان تغني اغنية سخيفة، وهكذا يتمكن من اذلالها امام ضيوفه. فادركت الفتاة ذلك، وقررت ان تلعب على طريقته. فابتسمت وهمست باذن عازف البيانو ببعض الكلمات، ولحسن الحظ كان يملك اللحن. والا لما استطاعت ان تغني «اكابيلا».

وابتسمت للضيوف، وانحنت قليلاً، وكان تورن يقف مستنداً على الباب يحمل كأساً بيده وينظر اليها بجفاف وتحد. وكأنه يقول لها:

«هيا ايها العندليب الصغير. اذا كنت تعتقدين ان ضيوفي سيعجبون باغانيك».

بدأ عازف البيانو، وارتفع صوت سابرينا الجميل فدهش الضيوف بهذا الصوت الكريستالي. وقطع الجميع انفاسهم اعجاباً بموهبة هذه المغنية التي لم يتوقعوا لقائها. واعطت سابرينا قلبها وروحها وغنت اغنية بطلة الاوبرا المشهورة، مدام بوترفلي، وعندما انتهت من الغناء وسكتت الموسيقى، كانت الدموع تتلألأ في عيون عدد من النساء المحترفات الموجودات.

وفي لحظات الصمت التالية. سمع صوت زجاج يتحطم، فالتفتت الفتاة الى حيث كان يقف تورن فوجدت انه اختفى وحطام زجاج كأسه على الارض.

«برافو! برافو» صرخ الجميع.

«واقتربت منها بعض النساء وقالت احداهن: لقد فهمت من تورن انك تغني الروك اند رول».

اسرعت الفتاة وانضمت لالبرت وجيسيكا.

«لقد كسر كأسه» قال لها البرت .

«كسره في يده هكذا».

«وهل جرح يده؟» سألته بقلق. واسرعت الى غرفة مكتب تورن فوجدته يدخن سيجارة امام النافذة.

«تورن؟».

«يدك. . .».

«ما بها بدي؟» ولاحظ فجأة ان يده مجروحة.

«سأنظفها والفها» قالت له ودخلت الى الحمام المجاور لتحضر له المطهر، فتبعها تورن. . .

حاولت الفتاة ان لا تظهر ارتباكها وهي تعالج يده.

«لم اسمع اجمل من ذلك في حياتي» قال لها تورن.

«صوتك رائع».

«للحقيقة. كنت اتمنى ان اصبح مغنية في الاوبرا، لكنني لم اكن املك المال لمتابعة دروس الموسيقى».

«انا اعلم بانك كنت فقيرة، لكني كنت اجهل مواهبك الفنية».

«حياتي لم تكن سهلة. وارجوك لا تعقدها اكثر».

فداعب تورن وجهها بحنان.

«ارحلي ما دام هناك وقت، لدي سر، سابرينا، لا تدعيني استعمله ضدك امام البرت».

«اذا انت تعتبرني عدوة لدودة؟».

«نعم، لم يسبق لي ان التقيت بامرأة خطيرة مثلك. افسخي خطوبتك مع البرت».

«لماذا؟».

«لانك ستخونينه معي». واطفأ سيجارته بعصبية في المغسلة.

«سابرينا، نحن لا يمكننا العيش تحت نفس السقف دون ان نمارس الحب معاً. البرت هو اخي، وانا احبه، ولا اريد ان اكون غير شريف معه» وكان يلتهمها بعيونه، ولمسة يده كانت تحرقها.

«احياناً. انسى اي نوع من النساء انت، واكتشف انك رقيقة و. . . بريئة. حسناً، هيا بنا ننضم للاخرين اريد ان اعلن خطوبتكما. . .!».

وابتعد عنها بسرعة. ففهمت سابرينا ان الحرب لن تنتهي بينهما.

وقف تورن في وسط الصالون، وقال بصوت مرتفع:

«سيداتي، سادتي، لدى خبر ازفه اليكم، لقد اختار اخي البرت الامرأة التي ستشاركه حياته على السراء والضراء. انها سابرينا كان».

ونظر الى الفتاة باحتقار شديد.

«سابرينا كان. . . الابنة الغير شرعية لامرأة فاسقة، انجبتها من احد عشاقها الاثرياء».

ظلت سابرينا صامتة، وشحب وجهها واخذت ترتجف، بينما ظهرت الدهشة على وجه البرت. وتلألأت دموع جيسيكا، صمت الجميع، فتسلمت سابرينا بكل ما اوتيت من شجاعة، وسارت نحو تورن، وعيونها تظهر الماً عميقاً. وكأن اخفاء سرها، الذي لا تعلمه سوى صديقتها جيسيكا، وها هو ترون الان يرمي بهاالوحل امام ضيوفه.

«اهنئك» قالت له بهدوء.

«لقد كشفت عن مواهبي ايها الثلاثي الاسم. ولكن دعني اعطيك بعض التفاصيل الاخرى: والدتي كانت تحب رجلاً رحل الى فيتنام ولم يعد منها. وكانت حامل منه. فرمتها عائلته في الشارع، وقالوا لها ان السعادة لم تكن من حقها. فعملت كخادمة في المنازل لكي تدفع ايجار غرفة حقيرة، وعندما ولدت انا اضطرت للعمل في وظيفة ليلية الى ان تأخرت صحتها كثيراً».

كان الجميع يصغون اليها بانتباه كلي. ولم تكن قد لاحظت وجه تورن القاتم قربها.

«لم يكن لديها سوى شيء واحد: جمالها. وعندما لم تعد قادرة على العمل، قبلت الخروج مع تاجر غني كان هو الاول، واشترت لي حينها اول حذاء. ... وتلاه الثاني وكان رساماً وصديقاً لذلك التاجر، فدفع ايجار سكنها لمدة اشهر. وبعد ذلك، تلاه آخرون. ولم نعد انا ووالدتي نشعر بالجوع، ثم التقت بهاري، كان غنياً جداً، لكنه كان مجنوناً كان يحب ان يضربها الى ان تفقد الوعي...» وبدأ صوت الفتاة يرتجف، ورغم ذلك تابعت الكلام:

«وذات يوم، عاد وكان قد شرب كثيراً، وضربها حتى ماتت بين يديه، وامام نظري».

«يا الهي ...» همس تورن منهاراً.

«فأرسلت الى الملجأ، وتعلمت كيف اعيش، وحاولت الاستمرار رغماً عني، واعتقدت انني نسيت... حتى هذا المساء».

ثم رفعت نظرهانحو المدعوين واضافت:

«اعتقد انه يجب علي ان اتحمله كل حياتي، هناك شيء آخر اريدك ان تعلمه، سيد الثلاثي الاسم».

ثم سحبت الخاتم من اصبعها وناولته لالبرت، الذي كان ينظر الى اخيه بغضب كبير.

«لقد ارتكبت عملاً حقيراً» قال له البرت.

«واذا لم تعتذر حالاً، فانا سأحطم رأسك...».

«انت محق. هذا غير عادل» قال تورن.

«انسه كان. ارجوا ان تعذريني» اضاف وهو ينظر الى عيون الفتاة.

وكانت تجهش بالبكاء، اذاً، هذا ما كان يحذرها منه تورن ان يرمي بماضيها امام كل هؤلاء الاثرياء، وتناولت حقيبتها وفتحت باب غرفتها، فتفاجأت بتورن يدخل.

«الديك سلاح آخر؟».

«لم يكن يحق لي ان...».

«لا ترهق نفسك بالاعتذار قاطعته بضحكه مرة».

«لم يكن يحق لي ان آت الى هذا العالم، فانا ثمرة حب كما يقولون. كان يجب ان ابق في الملجأ، حيث لا يحتقرني احد... لم يكن يجب ان اولد وارى والدتي مع كل هؤلاء الرجال».

واغمضت عينيها لتخفي المها. بينما كان تورن يتأملها وقد اختفى صوته.

«لكنني كنت اعلم انها كانت تفعل ذلك من اجلي، ومع ذلك كرهتها دائماً... الى ان قتلها ذلك المجرم...

لكني افتقدها كثيراً! وكرهت كل الرجال الاثرياء الذين يدفعون الامرأة البائسة الى فراشهم.

ولو لم تكن مريضة لما كانت ماتت، لقد مدت يدها للرجل الذي قتلها، وحتى آخر يوم من عمري سأكره كل الرجال، ولن اصبح مثلها ابداً، ابداً!» واجهشت بالبكاء من جديد.

«هل انت سعيد الان؟ لقد اذليتني امام ضيوفك الاغنياء، حتى هذا الثوب الذي ارتديه والذي جعلك تبتسم بسخرية! نعم! انه ثوبي الوحيد للسهرة. وانا بحاجة لاشياء كثيرة في مهنتي».

لم يلاحظ تورن ان سيجارته بدأت تحرق اصابعه.

«ولكنك اخذت مني شيكاً...».

«واعطيته لالبرت، انه يريد تأسيس ملجىء للاطفال المحرومين. وكنا نريد طلب مساعدتك، لقد اعطيته الشيك، وقلت له انه هبة منك اما بالنسبة لخطوبتنا المزعومة، فهي لم تكن سوى تمثيلية وستعرف سببها فيما بعد، والآن، اختف من امامي، اذهب من هنا!».

«اريد ان ارافقك الى منزلك» اجابها متلعثماً.

«شكراً، بعد اهانتك هذه. افضل ان اذهب الى آخر العالم مشياً».

«سابرينا...».

«لقد ربحت انت. الست فخوراً بنفسك، ايها الثلاثي الاسم؟».

«لا، انا اشعر بالعار...» ولم يعد يستطع النظر الى

ضحيته، فخرج واغلق الباب وراءه.

فنزلت سابرينا تحمل حقيبتها، والتقت بالبرت وجيسيكا في الصالون، فقررت صديقتها ان ترافقها وتقضي الليل معها. وكان البرت يبدو غاضباً وحزيناً، وقرر ان يقطع علاقته نهائياً بأخيه اللئيم هذا، لقد تخطى هذه الليلة كل حدود.

وبينما كانت سابرينا تغادر منزل آل تورندون، احست بانها مراقبة، لكنها لم تلتفت، اوه! يا لها من سخرية، ويا له من قدر: رغم كل ما فعله بها، لا تزال تحبه. تحبه بجنون.

نظرت جيسيكا بقلق الى صديقتها التي تجلس على الكنبة القديمة في قميص نومها الازرق. وهي تشرب القهوة التي اعدتها لها.

«اتشعرين بتحسن؟».

«بالتأكيد» اجابتها سابرينا بجفاف.

«اذاً انت تحبين هذا الرجل حقاً؟».

«انه لا يستحق الحب».

«سابرينا، لقد رأيته بينما كنا خارجين من منزله» ولم تجرؤ ان تقول لصديقتها انها لمحت الحب في عيون تورن.

«كان يبدو نادماً».

«سينس. على الاقل، هو يعتقد انه انقذ البرت من مخالبي!».

«لقد اخبره البرت بالحقيقة».

شحب وجه سابرينا وعادت ترتجف.

«وماذا قال تورن؟».

«لا شيء. لكنه صفعه بقوة وحبس نفسه في مكتبه. وقال البرت انه بستحق هذه الصفعه، وانا ايضاً. انا آسفة على كل ما تسببنا لك به... لكما انتما الاثنين في الحقيقة».

«ارجوك. انا وتورن لا ننتمي الى نفس العالم. ولا شيء ممكن بيننا».

«انت مخطئة، يا عزيزتي، البرت يؤكد ان اخاه لم يحاول ايذاءك فقط لابعادك عن اخيه الاصغر».

«كل اولئك الضيوف... كلهم شهدوا اذلالي، اتساءل كيف استطعت الوقوف والكلام امامهم».

«انا فخورة بك، تورن هو الذي اهين، لو رأيت نظراتهم اليه!».

«الان الجميع يعلمون بحقيقتي، سأتوقف عن الغناء، وسأترك فرقة حبوب الرمل».

«لا يجب ان تحطمي حياتك، انت بحاجة لتناول الطعام، ماذا تريدين؟».

«قلب تورن» اجابها بمكر.

«لست جائعة. لكنني سعيدة بموقف البرت».

«وانا ايضاً. انها المرة الاولى التي يواجه اخاه بهذا الشكل».

وبهذه اللحظة رن جرس الهاتف، فرفعت جيسيكا السماعة ورأتها سابرينا وقد شحب لونها وهي تجيب على الهاتف.

«... نعم ... نعم اعتقد... سأقول لها... تصبح علي خير».

ثم اقفلت السماعة.

«انه تورن. كان يريد الاطمئنان عليك، وانك لست وحيدة يبدو... منهاراً».

«فليذهب الى الجحيم» صرخت سابرينا وهي ترتجف.

«هيا بنا ننام».

ادركت جيسيكا عذاب تورن. واشفقت عليه كما تشفق على سابرينا، لقد جعلهما القدر عدوين ونفاهما عن الحب والسعادة، فهزت رأسها ونامت، لكنها طوال الليل كانت تسمع بكاء سابرينا الذي تحاول خنقه.

تزوج البرت وجيسيكا يوم الاثنين. واصر البرت ان تكون سابرينا شاهدة زواجهما، ولكن ما ان دخلت الى الكنيسة، حتى تفاجأت بوجود تورن، فترددت قليلاً، وقررت العودة ادراجها، لكن جيسيكا رأت واسرعت نحوها وطمأنتها.

فدخلت سابرينا وهي تخشى ان يؤذيها تورن من جديد.

«لم يكن يجب علي المجيء» قالت سابرينا لصديقتها.

«لقد وقع وكيل الفرقة عقداً لنا في نيورك، وسيدفعون لنا جيداً، سأذهب معهم بالتأكيد. هناك... هناك.... لا احد يعرفني...».

«كفي عن هذا التفكير. سابرينا، لن يرو احد من المدعوين قصتك للصحافة، ولا حتى تورن».

«حقاً؟» ونظرت نحو تورن الذي كان يدير ظهره، ودق

قلبها بسرعة، وهي تتذكر عناقه لها. ويجب عليها الان مواجهته من جديد.

التفت تورن ورمقها بنظرات غريبة، فلاحظت الفتاة شحوب وجهه، واثار السهر على عيونه. اهو ايضاً لم ينم هذه الايام؟ واتجهت جيسيكا مع زوجها نحو الكاهن وخلال اللحظات التالية. التفتت سابرينا نحو تورن وعيونها مليئة بالدموع، فلاحظت انه كان يتأملها فاخفضت رأسها بسرعة، اوه! اصحيح ما رأته في عيونه؟ ام ان خيالها يخونها؟.

قبل البرت زوجته ثم التفت يستقبل التهاني، فأسرعت جيسيكا الى صديقتها وقبلتها.

«كوني سعيدة، يا جمياتي» قالت لها سابرينا بحنان.

«سأراك بعد عودتي من شهر العسل».

«وانا سأكون في نيورك مع الفرقة، وسنصور هناك فيديو كليب».

«يبدو وان الحظ بدأ يبتسم لكم ايمكنني ان اكتب لك؟».

«سيحتفظ لي رافرتي بكل رسائلي».

- ١١ -

انضم اليهما البرت وضم سابرينا بين ذراعيه بمحبة اخوية، وكان وجهه مشرقاً بالسعادة. لكن حاله صديقته كانت تقلقه.

«انت بخير، سابرينا؟».

«نعم!».

«لقد ادركت ما سببناه لك انا وجيسيكا...».

«كونا سعيدين، هذا كل ما يهمني» اجابته وارغمت نفسها على الابتسام. وبعد ان سلم العريسان على الجميع، غادرا الكنيسة ليبدأ حياتهما السعيدة وبهذه اللحظة اقترب تورن منها.

«اريد ان اكلمك قليلاً».

«ليس لدي وقت، ولن اكرس لك ولا ثانية من وقتي،

www.elromancia.com

ايها الثلاثي الاسم»..

«انا افهم ردة فعلك، وبامكاني اختصار ما سأقوله قدر الامكان، كنت اجهل الحقيقة. اليس هذا يخفف العقوبة؟».

كان يبدو آسفاً حقاً، فقاومت الفتاة كثيراً كي لا ترمي بنفسها بين ذراعيه...

«لقد دست علي بقدمك!» قالت له بصوت مرتجف «لم يكن احد يعرف ماضيّ سوى جيسيكا».

«من الخطير جداً الاحتفاظ بسر مدة طويلة، لقد حاولت كثيراً ان اجعلك ترحلين قبل اللحظة الحاسمة».

«كان ذلك مستحيلاً، وكنت قد وعدت بأن ادير انتباهك حتى زواجهما».

«كان يجب على البرت ان يخبرني منذ البداية بدل ان يعمد الى تمثيلية سخيفة كهذه! انا احترم جيسيكا، ولم اكن لاعارض لو علمت كم يحبها».

«كان يخاف منك، انهما صديقاي الوحيدان، فقبلت مساعدتهما، كما وانني كنت اريد ان أثأر لنفسي منك بعد معاملتك لي في لقائنا الاول... انت... كنتَ تريد ان تشتريني لليلة...» وازداد غضبها وتابعت بصوت متقطع.

«لم تكن طفولتي سوى بائسة وكل ذلك بسبب الرجال الاثرياء، لو كنت تعلم كم اكرههم، كم...».

«قد اكون افهم ذلك اكثر مما تعتقدين، لماذا لم تخبريني بكل ذلك عندما كانت لدينا الفرصة لذلك؟ لقد اخطأت بالحكم عليك».

«كان ذلك انتصار لك في ذلك المساء، فتاة غير شريفة من حي وضيع!».

«اسكتي، اسكتي، لم اكن اريد ايذاءك».

«حتى عندما كشفت عن ماضي امام اصدقائك الذين هم من علية المجتمع؟».

«لقد اعتذرت».

«اعذاراً... لم تمنعك من احتقاري».

فنظر في عيونها وكأنه يريد ان يعترف لها بسر كبير.

«انت لا تعرفينني جيداً».

«اوه! بلى! انا اعرفك، انت رجل منزو في برجك العاجي الذي لا تسمح لاحد بدخوله، لا شيء يلمسك ولا شيء يرضيك، ستنتهي وحيداً، عجوزاً بدون حب، لن تمنح الحب ولن تحصل عليه، لن يبقى لك سوى مالك الوسخ والنساء الرخيصات، ستبقى وحيداً حتى موتك» قالت له بحدة وسخرية.

«هل انتهيت؟» سألها وبدأت انفاسها تتسارع.

«تقريباً، انت لم تعلن الحرب ضدي فقط لكي تنقذ البرت من مخالبي، بل لانك تكرهني لانني اكتشفت حقيقتك من خلف قناعك».

لمعت عيون تورن بغضب كبير، وشحب لونه، واخذ يرتجف من الغيظ.

«اختفي من حياتي!».

«الم يحصل ذلك حتى الآن؟ لقد ربحت، كنت قد حذرتني، لكن كان يجب علي ان اسمع، الوداع،

هاميلتون ريغن تورندون، ايها الثلاثي الاسم، اتمنى ان تعيش سعيداً مع مالك».

«اختفي من امامي» صرخ تورن بحدة.

لن تنسى سابرينا ابداً ملامح وجهه القاسي المرتجف، وتركته وحده وركضت حتى لم يعد بامكانها السير...

مرت الاسابيع التالية ببطء كبير، ورغم عملها مع فرقة حبوب الرمل، كانت تتجنب البقاء وحدها، وكانت ترهق نفسها بالعمل، اعتقاداً منها انها بذلك تهرب من آلام الذكريات.

وفي اول اسبوع لهم في نيويورك، صوروا اول فيديو كليب لهم، وكانت اغنيتهم الجديدة رماد وهواء، تعد بنجاح كبير، وكلفهم الفيلم عشرة آلاف دولار، وكان دنيس مدير الفرقة يتهرب من اجابتها، كلما سألته سابرينا عن اسم المنتج الذي يمولهم، ولكن ماذا يهم! كل امكانيات نجاحهم، هي رهن بنجاح هذا الفيلم، وكان صوت سابرينا كنزهم الوحيد، وتم التسجيل باقل من شهر، وحصلت الفرقة على دعاية واسعة في اكبر الصحف والمجلات.

وكان كل هذا يكلف ثروة كبيرة، لكن سابرينا لم تشغل نفسها سوى بعملها لكي تنسى تورن، وحبها له.

«الاعلانات تجذب الينا عدداً كبيراً من المشاهدين» قال دنيس قبل يوم من بداية عرضهم في اكبر ملاهي نيويورك «سنضطر لتمديد اقامتنا لاسبوعين اضافيين، وسيعرض فيلمنا على شاشة التلفزيون بعد اسبوع، نحن على طريق المجد!».

«هذا اذا سار كل شيء بشكل جيد» قال ريكي.

«انت وتشاؤمك!» اجابته سابرينا «حتى الآن لم تواجهنا مشاكل».

«وهذا ما يقلقني».

غادرت سابرينا المكان، وكانت عادة تشعر بانقباض في قلبها اكثر من مرة ذلك اليوم، ويعذبها حنينها لتورن اللئيم.

حتى ولو التقيا بظروف اخرى، لما كان تورن سيد النفط سيهتم بها، انها من عالم آخر، والامرأة التي سيفكر تورن بالزواج منها ستكون غنية وجديرة بحمل اسمه.

اوه! طوال حياتها، لن تنسى ملامح وجهه في لقائهما الأخير.

ولكنها لمحت في نظراته اثناء اكليل صديقيها نظرات تدل على الحب والحنان... وكادت ترمي نفسها من جديد بين ذراعيه لكي لا ترحل عنه من جديد... ولكن لماذا تحي هذه القصة التي لم يكن لها بداية ولا نهاية؟ هاميلتون ريغن تورندون، لم يكن رجل احاسيس عميقة، وخاصة بالنسبة لامرأة يعتبرها من سفالة المجتمع.

عادت سابرينا الى غرفتها، وتأملت وجهها الشاحب في المرآة، انها تتعب كثيراً، وستستمر في وهب نفسها لعملها جسداً وروحاً، لن تسمح لماضيها ان يعذبها بعد الآن، ووعدت نفسها وعداً قاطعاً، ستجعل كل العالم يركع امامها... حتى تورن...

وعندما عادت الى العمل، كان ريكي لا يزال متشائماً، ولكن هذه المرة كان ناقماً على مهندس الديكور الذي

اشرف على تمديدات الاضاءة.

«انا لا احب طريقة تدلي هذه الثريا...».

«انت قلق دائماً، ريكي» قالت له سابرينا مبتسمة «تعالى واشرب القهوة، وكفاك تذمراً».

في نفس المساء، واثناء ادائها لاغنيتها الثانية، سقطت الثريا التي كانت تقلق ريكي، ووقعت على رأس سابرينا، وتحطمت على الارض وسط صراخ الجمهور الهستيري.

لم تستيقظ سابرينا الا في المستشفى، واحست بغشاوة امام عينيها، رأسها وكتفها يؤلمانها كثيراً، ولم تعد تذكر سوى ذكرى غريبة، بينما كانت تغني، وقبل ان تقع، سمعت صرخة قوية آتية من مدخل الصالة، في الظلام، صوت يبدو لها انها تعرفه، وعادت للاغماء من جديد.

«استيقظي، استيقظي...» امرها صوت حنون.

واحست بان احداً يهزها.

«لقد اخفتني، ايتها العندليب الصغير، هيا استيقظي...» فتحركت قليلاً، لكن كل جسدها كان يؤلمها.

«هذا جيد» تابع الصوت بحنان اكبر «هذا افضل بكثير، هيا، افتحي عينيك، نعم... دعيني ارى عينيك الجميلتين».

فرفعت جفنيها بثقل كبير، ورأت خيالاً، خيال رجل، وحولها آلات عديدة متصلة بجسدها بواسطة انابيب وأشرطة... فحاولت الحراك لكنها لم تستطع، فاغمضت عينيها.

«اتشعرين بألم، آنسة كان؟» سألها الطبيب.

فرطبت شفتيها بلسانها قبل ان تتكلم.

«رأسي... كتفي...» وحاولت الحراك من جديد، لكنها صرخت من الالم، فامتدت يد دافئة واجبرتها على القاء رأسها على الوسادة من جديد.

«كنت في غيبوبة، ولكن انتهى كل شيء الآن، سنعطيك مهدئاً وكل شيء سيكون على ما يرام».

وكانت لا تزال مغمضة العينين، لا تتمكن من فتحهما بسهولة.

فيما بعد، ادركت سابرينا انها في المستشفى، وكان رأسها ثقيلاً، لكن الألم اصبح خفيفاً، واكتشفت لفات من الشاش على كتفها الايمن وعلى جبينها، فرفعت يدها اليسرى... ولكنها احست بألم كبير.

«صباح الخير».

هذا الصوت... فالتفتت، ورغم حالتها بين الوعي واللاوعي، انفعلت عند رؤيته، وظلت تتأمله بنظرات ملؤها الحب والشوق.

«تورن...» همست بصوت منخفض.

فانحنى نحوها، وكان يبدو متعباً جداً، لكن نظراته كانت رقيقة وحنونة، لا، لا بد انها تحلم...

كان يرتدي بدلة سهرة، وعلى قميصه الابيض آثار بنية، دم! نعم انها اثار دماء جافة؟.

«هل تشعرين بألم، يا جميلتي؟».

يبدو ان الحلم يستمر، لا يمكن ان يكون تورن هنا،

وينـاديها بهـذا الحنان يـا جميلتي، فـأغمضت عينيهـا لكي تحافظ على هذا الحلم الجميل.

وعادت للغيبوبة من جديد.

كان ضوء النهار قوياً فرفعت سابرينا يدها امام عينيها.

«لا، لا، هذا يعميني...».

«سأغلق الستائر».

لقـد سمعت صـوتـاً، وسمعت خـطوات في الغـرفـة، فـالتفتت حـولهـا، ورأتـه من جـديـد، وعـاد الالم، الألم المخيف، ادركت الآن انهـا لم تكن تحـلم، تـورن هنـا بقربها بدمه ولحمه.

حاولت سابـرينا ان تـراه جيداً لكن نـظرها كـان لا يزال ضعيفاً.

«كيف تشعرين الآن؟» سألها تورن للمرة الثالثة.

لا، لا بـد ان هناك خـطأ، الم يأمـرهـا بـان تختفي من حياته؟.

«هذا الضوء...».

«ارتاحي، ابق مستلقية».

بلطف ولكن بحزم اعاد رأسها الى الوسادة.

«اوه... كتفي...» ولاحظت انبوباً في يدهـا اليسرى، وزجاجة معلقة قرب سريرها.

«ما هذا؟».

«انـه من اجل تغـذيتك» اجـابها تـورن وهو يجلس على كرسي قريب من رأسهـا «لقد تلقيت ضـربة قـوية، واصبت بجرح في كتفك وذراعـك، ولكن اذا بقيت هادئـة ستشفين

بسرعة، الطبيب يؤكد ذلك، بامكانك الخروج من هنا بعـد ايام قليلة، وبامكانك العودة الى الغناء بعد اقل من شهر».

«يوجد دماء على قميصك».

«نعم» اجابها بهدوء.

«منذ متى وانا هنا؟».

«منذ ثلاثة ايام».

«كنت موجوداً في الصالة عندما حصل لي ذلك؟».

تنهد تورن واطفأ سيجارته واشعل اخرى.

«لا» اجابها اخيراً، وكان يكـذب «كنـت في مانهـاتن مع بعض الاصـدقاء، وكنت قـد وعدت دنيس بـالمجيء فيمـا بعـد، اتصـل بي دنيس، فـوصلت بنـفس الـوقت مـع الاسعاف!» اضاف مبتسماً.

«فرافقتك الى هنا».

لم تفهم سابرينا شيئاً.

«لماذا جئت؟ انت تكرهني».

من غيـري يمكنـه البقـاء بقـربـك؟ البـرت وجيسيكـا مسافران، دنيس وريكي والآخـرون يجب ان ينهوا عقـدهم في النادي، لقد ارتبطوا مع مطرب آخر».

«من؟» سألته بقلق.

«وما اهمية ذلك؟».

واحست الفتاة بالحزن والتعاسـة، ففي الوقت الـذي بدأ فيه الحظ يبتسم لها، يأتي آخر ويـأخذ مكـانها، فـأغمضت عينيها لكي تحبس دموعها.

«لا، سابرينا لا تبكي» طلب تورن منها عندما رأى شفتها

www.elromancia.com

السفلى ترتجف.

«شكراً، لك لانك اهتممت بي، والآن بامكانك العودة الى منزلك، بامكاني التصرف وحدي، انا معتادة على ذلك».

نهض تورن بعصبية، ووقف يتأمل الفتاة الحزينة المنهارة.

«ماذا سأفعل في منزلي؟» سألها فجأة.

«بامكانك العودة الى حياة الدون جوان بسهولة». اجابته بضحكة باردة.

«انا اعيش وحدي، سابرينا». واقترب منها يتأملها.

«اذاً، اهلاً بك في النادي».

«حالياً، سنترك النادي جانباً».

التزمت سابرينا الصمت، وكانت تعلم انها بهذه الحالة بحاجة لمن يهتم بها، كما انها بحاجة لمكان تستريح فيه.

«ستعودين للمنزل معي». قال لها تورن وهو يشعل سيجارة جديدة.

«سأهتم بك الى ان تشفين».

«لا».

«كنت اتوقع جوابك». اجابها وهز كتفيه.

«ولكن لا يوجد خيار آخر امامنا، ايتها العندليب الصغير. لا يمكنك البقاء وحدك».

اعدني الى نيو اورلينز. سأبقى في منزلي. السيد رافرتي سيهتم بي».

«رافرتي يصر على وصفك بالقديسة او بالجنية

الصالحة».

«وكيف علمت ذلك؟».

هز تورن كتفيه من جديد، والتفت نحو الفتاة.

«شعرت برغبة لأن ارى كيف تعيشين».

«لماذا؟» سألته بدهشة.

«انه كوخ قذر».

«لا، ابداً، انها بناية قديمة، وايجار الشقة ليس مرتفعاً، وجيراني لطفاء! وسيهتمون بي!».

بدأ تورن يفقد صبره.

«السيد رافرتي لا يتمكن من الاهتمام حتى بنفسه، هل انت مصرة على تحميله عناء الصعود الى شقتك عدة مرات في اليوم؟».

تلألأت الدموع في مقلتي سابرينا من جديد. انه محق، ليس لديها احد.

«انا افهمك. انت صاحبة كبرياء، وترفضين اي مساعدة مني، ولكن لا خيار وانني اخاف. وانت ايضاً مثلي».

«هذا لكن، ولكن...».

انحنى تورن وداعب وجهها وفمها المرتجف، وحدق بمقلتيها.

«سابرينا، لقد تسببت لك بألم كبير... دعيني، ارجوك، دعيني اغتنم الفرصة الوحيدة الممكنة...».

«لكي ترضي ضميرك؟» سألته بحدة.

«اعتقدي كما تشائين، على كل حال سأهتم بك جيداً».

www.elromancia.com

«و. . . الفرقة؟».

«سيستمرون بنجاحهم. وبعد نجاح الفيديو كليب ستتمكنين من العودة الى عملك».

«وكيف علمت انت بهذا الفيلم؟» سألته بدهشة.

«هذا ليس مهماً». وحاول اخفاء ارتباكه.

«حسناً، انا بحاجة للذهاب الى الفندق لابدل ملابسي. هل ستكونين بخير اثناء غيابي؟».

عندئذ فهمت سابرينا.

«انت. . . انت بقيت معي طوال الايام الثلاثة الماضية؟ ملابسك. . . قميصك. . . لماذا؟».

داعب خدها بحنان وابتسم: «انا احب المستشفيات، وخاصة قسم العناية الفائقة. كنت مستعداً لقضاء حياتيّ في غرفة الانتظار اتوسل اليهم لكي يسمحوا لي برؤيتك خمسة دقائق ثلاث مرات في اليوم! هذا بسيط. لم استطع الابتعاد عن الكنبة التي اعتدت عليها!».

«انت. . . لم يكن يجب. .».

«بالتأكيد». اجابها غاضباً. «وان اتركك في الغيبوبة دون ان اسأل عنك».

«الغيبوبة؟».

«انت لم تفتحي عينيك الا هذا الصباح. لم اكن متأكداً من عودتك الى الحياة رغم تأكيدات الطبيب».

«يا لها من مجاملة!» اجابته ببرودة وسخرية.

«انت لا تتصوري ما كنت اشعر به».

«انتبه، ايها الثلاثي الاسم. انسيت من اكون؟ الابنة

الغير شرعية لامرأة. . .» وسكتت لان يدا حطت على فمها ومنعتها من الكلام.

«لا، ارجوك، سابرينا. لقد حاولت يوم زفاف البرت ان اشرح لك كم انا آسف. ولكنك لم تصدقيني انا اتعذب اكثر منك».

فأدارت وجهها ولم تستطع النظر اليه اكثر.

«انت تعلمين». اضاف تورن وهو يضحك بمرارة.

«لقد دمرت صورتي امام ضيوفي. لم يعد احد من اصدقائي يكلمني. حتى انني فقدت بعض شركائي في العمل. ما رأيك؟».

«وهل هذا يهمك؟» سألته بدهشة.

«انت لا تتصورين حالتي. لم يعد احد يدعوني لسهرة او لتناول الغداء. كما وانني اجبر نفسي على ابتلاع الوجبات المحروقة التي يعدها لي جون. حتى هو، اكتسبته الى صفك، لا يبدو مستعدا لمسامحتي». اجابها تورن مبتسما.

احمر وجهها، وسرت لانه يبتسم. وتأثرت عندما رأت نقط الدم على قميصه، وأدركت انه ضمها اليه اثناء غيبوبتها.

«ستأتين معي الى المزرعة، عندئذ، سيعود جون لاعداد الوجبات اللذيذة! لقد اصبحت كل سراويلي واسعة، كما وانك انت نحفت كثيرا. وهذا سيفيدك كثيرا». وكانت مقلتيه تشرق بمرح وحنان.

«حسنا، سأذهب معك».

ازدادت اشراقة وجهه «انت ستعلميني كيف اكون انسانا، وانا سأعلمك كيف تكونين امرأة».

«انا لا اريد ان اكون...».

«صه...» وانحنى وقبل فمها بحنان.

«لن احاول اغراءك ابداً. حتى ولو توسلت الي، موافقة؟».

«ولكني قد افعل...» اجابته مبتسمة.

«اعلم ذلك. لا تخافي، لست وحدك ضعيفة».

والتقت نظراتهما للحظات طويلة، تنقل بصمت كل الكلمات التي لا تستطيع حتى الآن عبور شفاههما.

«حسناً، الآن سأنادي على احد يخبر الطبيب بأنك استيقظت».

وضغط على زر جانبي، فدخلت ممرضة بسرعة، فتركها تورن وخرج.

«انت محظوظة يا آنسة. لقد سمحنا للسد تورندون بالبقاء بجانبك يبدو ان وجوده افادك. كنا كلنا خائفين عليك. انت تعلمين هناك حالات من الغيبوبة لا ينجو منها البعض. وكنا نحن عاجزين».

«هو... بقي الى جانبي كل الوقت؟».

«لم يشأ ان يتركك ابداً. انت محظوظة فعلاً».

بعد اقل من ساعة، عاد تورن يحمل باقة زهر وملفات كبيرة.

«نامي». امرها وهو يجلس قرب سريرها.

«انا سأعمل».

كادت سابرينا تلتهمه بمقلتيها، وتأثرت عندما رأته يرتدي بدلة سوداء وقد حلق ذقنه، وعاد لمظهر رجل الاعمال الناجح فرفع نظره نحوها وابتسم.

«نامي».

«وانت ايضا بحاجة للراحة».

«لا يمكنني البقاء بعيدا عنك». وانكب على ملفاته يدرسها ويسجل ملاحظته. وجاءت ممرضة وحقنتها بمهدىء، فنامت ملىء مقلتيها بعد ان قالت لتورن.

«لا... لا تتركني».

«ابداً... يا حبيبتي». لكنها لم تسمع جوابه لانها استسلمت للنوم.

بعد اسبوع على وصولها الى المستشفى، اصطحبها تورن الى تكساس. وكانت لا تزال ضعيفة وتعاني من الدوار، لكنها كانت على طريق الشفاء.

كان عيد الميلاد قد اصبح قريباً. وتفاجأت سابرينا برؤية المزرعة مضاءة، والصالون مزين بشجرة الميلاد المشعة، وعند اسفلها، رأت الفتاة العديد من الهدايا.

كان تورن قد امر باعداد غرفة لها في الطابق السفلي. كي لا تضطر لصعود السلالم كثيرا.

«هل ستعود والدتك في عيد الميلاد؟» سألته الفتاة، وكانا يجلسان في الصالون امام الشجرة المزينة.

«لا، ستعود بعد عيد رأس السنة، في نفس الوقت مع عودة البرت وجيسيكا من المملكة العربية السعودية».

«اذاً لن يكون هنا سوانا في عيد رأس السنة؟».

www.elromancia.com

«نعم».

«ولكن... لمن كل هذه الهدايا؟».

تردد تورن قليلاً، واشعل سيجارة وجلس قرب ضيفته.

«لقد دعيت بعض الاصدقاء لحضور عيد الميلاد معنا».

شحب لون سابرينا ونظرت اليه بحدة.

«لا، سابرينا، لن يأت احد ممن كانوا هنا ذلك المساء».

«اعذرني، تورن».

«ستتعلمين ان تثقي بي». قال لها بعد صمت قصير.

«لقد اقسمت ان لا اجرحك ابدا، وانا لا ارمي بقسمي في الهواء».

«حسنا». اجابته بابتسامة مشرقة.

«لقد دعوت السيد رافرتي، وتوأمين جنين مع والدتهما، كما دعوت السيدة المسنة التي تقيم في الطابق السفلي في بنايتك».

«انت... ماذا؟» سألته بدهشة وكأنها لا تصدق ما سمعته.

«انهم اصدقاؤك، اليس كذلك؟».

«نعم، ولكن، انا... انا لم اكن لاجرؤ على... حتى ولا في الحلم».

«لقد قلت لك انني لست سيئاً، وارغب كثيراً بإثبات ذلك».

«واصدقاؤك... اصدقاؤك انت؟».

فأطفأ سيجارته وضحك بحرارة «ليس لدي اصدقاء».

«انت تعرفت على كل جيراني؟ وتعرفت على السيد رافرتي؟».

تأمل تورن جسد الفتاة النحيف في قميص نومها الازرق.

«لقد ذهبت لاحضار بعض ملابسك، ولكني لم اجد غير قميص النوم هذا وروب وقميص نوم آخر رقيق».

احمر وجه الفتاة، وفكرت به وهو يكتشف عالمها الخاص، وكانت تظن انه ارسل جون لاحضار ما تحتاج اليه.

«لم اكن اهتم بملابسي الداخلية، كنت انفق كل اموالي على ملابس العمل». اجابته وكانت تكذب.

«ولكن ماذا كان يبقى لك بعد ان توزعي الجزء الكبير من راتبك على جيرانك؟؟».

«لقد رأيت بنفسك بؤسهم».

«نعم... انا من كان لا ينقصه شيء، لم اكن افكر كيف يعيش الآخرون».

شعرت سابرينا بالراحة، ورفعت رجليها ووضعتها تحتها، واسندت رأسها على ظهر الكنبة. هكذا يمكنها النظر الى تورن جيداً. وابتسمت في سرها، كم هي سعيدة برؤيته بهذا الجمال والقوة... والرقة. ونسيت كل ذكرياتها السيئة، وشعرت بحاجتها له، ولحبه! وفجأة، لاحظت انها مراقبة، فابتسمت له.

«اتشعرين بتحسن؟».

«نعم... ايجب ان اعود الى نيويورك ليسحبوا لي

www.elromancia.com

خيوط جروحي؟».

«لا، بالتأكيد. لقد اتصلت بطبيبي الخاص، وسنذهب اليه يوم الجمعة وسيهتم بك جيدا».

«ماذا سيفعل لي؟؟» سألته بقلق.

«سيجري لك فحصاً بسيطاً، لم يكونوا ليسمحوا لك بمغادرة المستشفى لو كان هناك اي خطر عليك».

حاولت سابرينا الحراك، لكنها صرخت من الم ذراعها، فرفع تورن كم قميص نومها ونظر الى ساعدها.

«يجب ان تنتبهي وان لا تتحركي...» ورفع نظره نحوها فلاحظ احمرار وجهها.

«سابرينا! لقد اصبحت متحفظة بعدما حصل بيننا في الغابة!» قال لها ممازحاً.

ذكرى ذلك اليوم، جعلتهما كليهما ينفعلان، فداعب تورن عنقها حتى وصل الى قبة قميص نومها.

«كنت ارغب بك كثيرا». همس تورن.

«وكنت ترتعشين من الرغبة ايضا، كم كنت مخطئاً بحقك. مع انني كنت اشعر بأنني مخطىء، الا ان الاشياء تطورت. لم اكن اجرؤ على الوثوق بحدسي، لم اكن ايضاً احتمل فكرة ان تكوني ملكاً لالبرت. وغضبي الكبير منعني من التفكير وكنت اعمى لدرجة انني لم اكتشف خدعتكما...».

«كنت تسعى لحماية البرت. فهمت ذلك ولكن بعد ان فات الاوان، كنت اخجل كثيراً من ماضي».

«لماذا؟» سألها وهو يداعب شعرها.

«انت لم تكوني مسؤولة، انت لا تستحقين الجراح التي عانيت منها طويلا».

«آخر ليلة... عندما ضربها بقوة وعنف... كنت هناك...» وتقطع صوتها، فضمها تورن الى صدره بحنان كبير.

«لقد مضى زمن طويل على ذلك، وانتهى الآن انتهى...».

لم تستطع الفتاة التوقف عن البكاء، وامتزج حزنها بألم كتفها.

«هل يؤلمك؟؟» وداعب وجهها وجبينها الذي لا يزال مغطى باللفائف.

«تورن...».

والتقت نظراتهما، وعبرت بأكثر مما تعبر عنه الشفاه، فانزلقت يد تورن تحت قبة قميص نومها. فانتفضت بخوف.

«دعيني المسك» توسل اليها.

لم يكن الحذر الذي جعلها تنتفض. ان اقل ردة فعل منها تخونها، وكل لمسة من تورن تحرق جسدها، وتجعلها تفقد عقلها. وكانت قد بدأت ترتجف. وعادت اليها احاسيسها التي كانت تعتقد انها لن تعرفها من جديد. فضمها تورن الى صدره الدافىء، واسندت رأسها على كتفه. كانت ترغب به بشكل يؤلمها ويعذبها.

«انت لست سوى ساحر...».

«انت لا تتصورين حالتي عندما كنت اراك على سرير

www.elromancia.com

المستشفى اذاً الآن، وانا اضمك بين ذراعي، مليئة بالحياة».

«قالت لي الممرضة انك كنت تكلمني، وكنت تمسك بيدي...».

«هل خانتني لدرجة ان اخبرتك بردة فعلي عندما قالوا لي بأنك قد لا تستيقظين ابداً من الغيبوبة؟ بكيت كالطفل الصغير...».

«بكيت!!؟» سألته بدهشة وكأنها لا تصدق اذنيها.

لكن تورن كان يفكر بشيء آخر، كان فمه الدافيء يداعب شفتيها ويدعوها للحب، ويداه تداعبان رأسها بنعومة، فتنهدت بعمق وخبأت وجهها في عنقه.

وبلذة كبيرة اكتشفت سابرينا صدر الرجل الذي تحبه. ودهشت كثيرا من جرأتها في تحسس جسده، وكأن رغباتها تجعلها امام مرآة ينعكس الواحد فيها امام الآخر. واحست بسعادة كبيرة رائعة.

وعندما التقت نظراتهما المشتعلة، قال لها بصوت خافت.

«ليس الآن يا عندليبي الصغير». اجابها ضاحكاً ثم ابتسم عندما رآها ترتجف، ومستعدة لمنحه نفسها.

«انا اموت عندما اراك هكذا».

«تورن انا».

«اين تريدين ان نعقد زواجنا؟».

«ارتبكت الفتاة وتأملته كأنها تنظر الى مجنون امامها.

«عفواً؟».

«اين تريدينا ان نتزوج؟ في بومون او في نيو اورليز؟ سيصطحبك السيد رافرتي الى الكنيسة، وستكون جيسيكا آنسة الشرف».

فأبعدت الفتاة يديها عن صدره.

«لا استطيع ان اتزوجك تورن».

«لماذا؟» سألها وهو يحاول اخفاء خوفه وقلقه.

تنهدت الفتاة وابتعدت عنه، ورتبت ملابسها.

«لا استطيع هذا كل شيء».

«بسبب مهنتك؟».

فهزت رأسها، وكتفت يديها بعصبية، اوه! لماذا لفظ الكلمات نفسها التي كانت تحلم بسماعها؟ انها تحبه لدرجة الموت.

«لماذا؟» اصر تورن.

«كيف ستعلنه؟» سألته بضحكة مرة.

«لا يمكنك الزواج من فتاة مثلي دون ان تتعرض للاقاويل! انت تعلم، هذا الزواج لا يناسب طبقة المجتمع الراقية التي تنتمي اليها! لا اريد ان اتحمل مسؤولية...».

«فلتذهب اقاويلهم الى الجحيم! انت لا تقولين الحقيقة»، صرخ تورن وهو ينهض بدوره.

«هذا بسبب ما فعلته بك. لانني اهنتك امام الجميع، وتعتقدين انني سأحاول من جديد...».

ولم يجرؤ على النظر اليها، فأشعل سيجارة بعصبية.

«لا!» اجابته من اعماق قلبها.

«صدقني، ليس الامر كذلك. اوه! تورن انت ستشعر

بالعار. . . ».

وكأنه تلقى صفعة قوية، فأغمض عينيه.

«الشخص الوحيد الذي اشعر بالعار منه، هو نفسي، اريد ان اعمل الآن» واتجه نحو الباب.

«سأراك فيما بعد».

فنظرت اليه وهو يدير ظهره، هذا لا يمكنها تحمله! وشعرت بأن قلبها سيتوقف، وبسرعة ادركت ان حياتها مرتبطة بخيط رفيع الآن.

«تورن!» صرخت سابرينا بيأس.

توقفت يد تورن التي لا تزال تمسك بقبضة الباب.

«نعم؟».

فجمعت كل شجاعتها، وطردت الخوف من نفسها، وفتحت له ذراعيها، وعندما ترددت لحظة، احست بأن قلبها يتمزق في صدرها. هل هي مخطئة؟ هل اساءت الفهم؟ لقد انفرج وجه تورن وركض نحوها ووقع على ركبتيه، وضمها اليه، واسند رأسه على بطنها.

كان يرتجف، واحست الفتاة انها ستقع على الأرض، لاول مرة تشعر بأنه يشاركها كل احاسيسها.

«انا احبك». . . قال لها تورن بصوت مرتجف.

«علمت ذلك في ذلك المساء المشؤوم الذي اهنتك به. اوه! انا احبك لدرجة الموت! كنت اعتقد انه لن يمكنني ان اقترب منك ابداً».

وضمها اليه بكل قوة وبكل جنون، وضمته سابرينا ورغبت في ان تذوب بين يديه.

«لم اتركك لحظة، اهتممت بمهنتك، حتى فيلم الفيديو كليب! ولكن لم يتمكن شيء من ملىء الفراغ الذي تركته في حياتي، لم يعد بامكاني الاقتراب من اية امرأة اخرى، ولم اعد استطيع تناول الطعام، والنوم هرب مني. . . وذلك المصباح الذي كاد ان يقضي على حياتك. اوه! يا حبيبتي، لو مت، كنت سأدفن نفسي معك، لانه لا يعود هناك سبب لحياتي من بعدك».

«تورن. . . كم احبك!».

فرفع وجهه نحوها، واشرق بسعادة كبيرة.

«حقاً حتى بعد كل ما فعلته بك؟».

فداعبت وجهه وجبينه بيد مرتجفة، وكانت قوة حبها له تخيفها.

«كنت اشعر انني اعرفك جيداً، وكأنك كنت ذاتي! تعذبت كثيراً وانا العب دور خطيبة البرت، واحياناً كنت احس بمشاعرك وادرك افكارك».

«وانا ايضاً، لقد قضيت علي بالضربة القاضية في الكنيسة، كنت غاضباً ويائساً لانك ادركت حقيقتي، كنت تعلمين وحدتي. . . وكل شيء اوه! انا مستعد لان ادفع حتى آخر يوم من عمري ثمن العذاب الذي سببته لك!» وكان لا يزال جاثياً على ركبتيه، فانحنت وقبلته بشوق كبير.

«تزوجيني، سابرينا» همس تورن متوسلاً.

«ستلاحقنا الاقاويل، انا احذرك».

«ليس لدى الناس سوى ذلك يفعلونه انا احبك، وانت تحبينني، ولا شيء آخر يهمنا!».

«على كل حال من الصعب مناقشتك، فأنت دائماً تكون على حق».

«هكذا يقال» اجابها تورن وقبلها بحنان.

«تزوجيني ارجوك سننجب اطفالاً. وسأشتري لك قميص نوم جديد» اضاف مبتسماً.

«وسيكون بامكانك متابعة الغناء في ملهاي!».

«وانا حامل وبطني منتفخة؟» سألته ضاحكة.

«ما اهمية ذلك؟».

«شكراً، شكراً يا حبيبي». وقبلته الى ان كادت ان تخنقه.

«ولكن تورن، انت تعلم، عندما زارني اعضاء الفرقة في المستشفى، قالوا لي بأن الأمور تسير بشكل جيد مع المغني الجديد، اذاً، بالنسبة لي، بامكاني ان اعمل في الاوبرا...».

«لك كل ما تريدينه وكل ما ترغبين به».

جلست على الارض بجانبه ورمت نفسها بين ذراعيه من جديد.

«كل شيء؟ ولكن لدي الآن كل شيء. انت انت تورن...».

«ستفكرين بها بعد ايام قليلة. او بعد شهور، انا لن اقف في طريق فنك، انا احبك كثيراً، وانت ما اريده من الحياة».

«بما ان كل ما يهمني ان اعيش معك. واسافر معك لا شيء آخر مهم، انا احبك...».

«يا حبيبتي.. انا».

«اصمت الآن» همست وهي تقبله واجبرته على ان يتمدد على السجادة.

«يا الهي». اعترض تورن.

«لا تعتقدي انك ستجذبينني الى فراشك قبل ان تضعي خاتم الزواج في اصبعي!».

«كفاك مزاحاً، واسكت الآن».

«فلنحدد موعداً لزواجنا». ونهض وحملها بين ذراعيه.

«الا ترغبين برؤية الهدايا التي تحت الشجرة؟».

«اذاً، معطف من الشموا للسيد رافرتي، وزوج من الاحذية لكل واحد من التوأمين، ولوالدتهما».

فتلألأت دموع الفرح في عيون سابرينا.

«لقد فكرت في كل اصدقائي».

«اعلم بأن كل البؤساء في العالم هم اصدقاؤك! ولكني سأكون اغلاهم على قلبك. سنفعل جهدنا لكي نؤمن لهم كل ما يحتاجون اليه، ولكن... هل انت موافقة على ان نحتفظ لانفسنا ببعض الراحة؟».

فرمت نفسها بين ذراعيه وقد غمرها الحب والامتنان.

«موافقة».

وابتسما معاً، وضحك تورن ضحكات كان يفتقدها منذ سنين طويلة، وحمل الفتاة وكأنها تبلغ وزن الريشة ووضعها بهدوء على الصوفا، وتمدد بقربها.

«كنت اعتقد اننا لن نتشارك الفراش قبل الزواج».

«انا تكلمت عن السرير، ولم اتكلم عن الصوفا».

www.elromancia.com

اجابها ضاحكاً.

«اعتقد ان الباب مفتوح» قالت له سابرينا مبتسمة.

«واخيراً لا» اجابها بحزم ونهض واغلق الباب وعاد اليها.

«الا تشعرين بالحرمع كل هذه الملابس؟» سألها وهو يضحك كالاطفال.

لكن سابرينا لم تكن ترغب بالمزاح واللعب. وانتظرت وهو يعريها من ملابسها بكل حنان ورغبة، وجذبته نحوها قبل ان ينتهي من ذلك.

«ارجوك...» قالت له لاهثة.

«انا ايضاً ارغب بك» همس تورن.

«يا حبيبتي يا زوجتي، يا شريكة حياتي!».

تردد جون قليلاً قبل ان يدق على باب الصالون ليعلن ان العشاء اصبح جاهزاً. وكان يدرك ان ما يحصل خلف هذا الباب اهم بكثير من العشاء. فابتسم وعاد الى المطبخ ليحفظ الطعام ساخناً.